10 me Année No. 457 | Lundi - 6 - 4 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٥٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٠ ربيع أول سنة ١٣٦١ — الموافق ٦ أبريل سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــرس

سؤالان متباعدان

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاءنى فى هذا الأسبوع سؤالان متباعدان من طرفين متقابلين : أحدهما من أديب يسأل عن أبى تمام ، والآخر من أديب يسأل عن المدرسة الحديثة فى التصوير ، أو عن المدرسة التى تزعم أنها تعتمد فى تصورها على الوعى الباطن ولا تعتمد على المشابهات المحسوسة

أما الذى يسأل عن أبى تمام وهو الأديب « السيد حسن قرون التونسى بكلية اللغة العربية » فيسرد أسماء الشعراء الذين كتبت عنهم كتباً أو فصولاً فى كتب ثم يقول :

« ... ولكن شاعراً واحداً لم يفز منك بالإعجاب أو السخط ، ولم يظفر منك بتزيين أو تهجين ، وهو أبو تمام . ما الذى أبعدك عنه وما الذى أبعده منك ؟ أما أنا فأعتقد صادقاً أو كاذباً أن شعرك وشعره ينبعان من منبع واحد ... »

ثم يقول : « فأبو تمام الذى أحدث ضجة فى عصره ، والذى كتب عنه الآمدى وغيره ، والذى كان مثالاً للشعراء يحتذونه ويقلدونه ، لا يظفر فى العصر الحديث ببحث أو بكتاب أو بطبع ديوانه طبعة أنيقة . ليس هناك شاعر يمثل عصره تمام التمثيل إلا هذا الشاعر . وليس هناك شاعر يعلم البحث والتفكير والتعمق إلا هذا الشاعر ؛ ولكنه ينبى ويقدم المجنون ابن الرومى ،

ويهمل ويذكر رهين المحبسين أبو العلاء ، ويكتب عن بشار وأبي نواس ودعبل ولا يكتب عنه !

« أبو تمام حزين ثائر من الأستاذ العقاد لأنه هو الذي إذا تصدى لبحث وفاه حقه ، وإذا كتب عن شاعر شرقي أو غربي أعطاك صورة صادقة ناطقة طبق الأصل ... مهما ظننت بي الظنون فأنا مطالبك بالكتابة عنه ، ومهما اعتقدت بي الفضول فأنا مقتنع بفكري راضٍ بنظرتي ... »

* * *

وأنا يعجبني الإعجاب لأنه دليل حسن على شعور كريم ، ولا يعجبني أن يكون الإعجاب بأحد باباً للجور على آخرين

أما جوابي عن سؤال الأديب : لم لم أكتب عن أبي تمام ؟ فأبدأ بأن أبا تمام في اعتقادي شاعر في طليعة الصفوة من شعراء العصر العباسي وشعراء العربية عامة ، وإنه حقيق بكتاب أو برسالة ضافية كغيره من الشعراء الذين كتبت عنهم أو كتب عنهم النقاد السابقون واللاحقون

ولكنني لم أعرض له لأن الغالب في كتاباتي من هذا القبيل أن ترجع إلى سببين : إنصاف مغبون ، أو تجلية ناحية قد نسيها النقاد أو فهموها على وجه آخر

وأبو تمام ليس بالشاعر المغبون ولا بالمجهول القدر في زمانه وبعد زمانه . بل لعله أصاب من الرعاية والاعتراف بالفضل فوق حقه ، أو فوق ما أصابه معاصروه على التحقيق

كذلك ليس في أبي تمام ناحية غامضة أو ناحية تتنازعها الأفهام والبداءه الفنية ؛ وإن جرى النزاع في معنى من معانيه فهو نزاع لا يتسع حتى يتناول النفس الإنسانية في آفاقها الواسعة ، ولا يترتب على البت فيه بت في مشكلة عاطفية أو اجتماعية أو عقدة من عقد الحياة

فهو صاحب إجادات وليس بصاحب عالم

يسأل سائل : وما « صاحب عالم » هذه التي تميز بها بعض الشعراء وتجعلها ذريعة إلى الكتابة عن فريق وترك الكتابة عن آخرين ؟

فأقول : إن التمثيل هنا لازم لتقريب المقصود بالشاعر الذي « له عالم » والشاعر الذي لا عالم له وإن كانت له إجادات

فالملكة الشاعرية — بل الملكة الفنية عامة — هي أشبه الأشياء بالزجاجة المصورة التي ترسم ما يقابلها

فالزجاجة الحساسة الواسعة لا تدع مما يقابلها شيئاً إلا رسمته وجاءت بصورة منه

والملكة الفنية زجاجة مصورة تقابل العالم بأسره ، فإن كانت حساسة واسعة جاءتنا بصورة من العالم كله ، وأمكننا أن نعرف ما هو العالم كله كما رآه الشاعر في قصيده

وإن لم تكن كذلك جاءت بقطعة منه ، وبلغت ما يتاح لها أن تبلغ في تلك القطعة المحدودة ، ولكنك لا تبادل هذه الصورة بالصورة العالمية وإن كانت تفوقها في التظليل والتلوين

إن قطعة من مدينة القاهرة حسنة التصوير لتشترى وتقتنى ولا مراء ، ولكنك إذا أردت صورة المدينة برمتها فهذه الصورة الشاملة أولى بالشراء والاقتناء من كل قطعة محدودة ، بالغة ما بلغت من إتقان التظليل والتلوين

وأبو تمام يجيد في هذا المعنى ويجيد في ذاك ، ولكنه لا يعرض لك العالم كله في حالة من حالاته ، ولا يخرج لك نسخة عالمية تقرنها إلى النسخ الأخرى التي تستمدها من أمثال : ابن الرومي والمتنبي والمعري في الشعر العربي ؛ وأمثال : شكسبير وجيتي وليوباردي في الآداب الأوربية

ابن الرومي له عالم كامل من الحياة الفنية ، والمتنبي له عالم كامل من الحياة العملية ، والمعري له عالم كامل من الحياة الفكرية والروحية

فالعالم بكل صورة فنية فيه ممثل في ملكة ابن الرومي ، أو في تلك الزجاجة الحساسة الشاملة التي لا تدع شيئاً مما يقابلها إلا وعته على الطريقة الفنية

العالم بكل صورة عملية فيه ممثل في ملكة المتنبي ، كما تمثل عالم الفكر والروح جميعاً في ملكة أبي العلاء

حياة كاملة تعرضها من جانبها كل ملكة من هذه الملكات

فنقول : إن نسخة من صور العالم قد زادت في مجموعتنا الأدبية .

أما أبو تمام فلا يعطينا نسخة من صور العالم على نحو خاص به أياً كان هذا النحو في قيمته وفي مرماه

عنده صورة حسنة جداً لمسجد السلطان حسن ، وصورة حسنة جداً لقنطرة قصر النيل ، وصورة حسنة جداً للهرم ؛ ولكن مدينة القاهرة كلها ليست هناك ، سواء « حسنة جداً » أو حسنة قليلاً ، أو غير حسنة على الإطلاق

وهذا الذي نعنيه بالشاعر الذي له عالم ؛ وهذا هو القياس الإنساني الصحيح للشاعرية الممتازة في بابها ؛ لأن الشاعرية

ملكة إنسانية قبل كل شيء ، وملكة لغوية أو بيانية بعد ذلك

وما قاله الأديب عن ابن الرومى لا يدل على أن كتاباً ضخما فى شرح أدبه كثير عليه ؛ بل يدل على أنه لا يزال فى حاجة إلى كتب ضخمة إلى جانب ذلك الكتاب ، للتعريف بقدره ، والتنبيه إلى دقائقه ، والوصول إلى فهم الأدب والشعر عن طريق فهمه

فابن الرومى فى الملكة الشعرية الفنية قمة لا تطاولها القمم ، مثل لا تقاربه الأمثال ، طراز ليس له فى الدنيا نظير

نعم فى الدنيا أقول ولا أقول فى أدب العرب أو أدب الفرس أو أدب الروم أو أدب أمة واحدة من الأمم

فى الدنيا كلها لا نعرف نظيراً لابن الرومى فيما رزقه الله من ملكة التصوير الفنى ومن القدرة الشعرية على استيعاب كل مرئى رآه وكل محسوس أحسه وكل خالجة جرت بين طواياه

فى الدنيا كلها نقول ونحن نعنى ونعلم ما نقول . ومن لم يفهم هذا فليجتهد فى فهمه ، قبل أن يجتهد فى رفض رأى ليس عنده من أسباب رفضه مثل ما عندنا من أسباب الذهاب إليه ، وأسباب تأييده

بيتان اثنان من شعر ابن الرومى يصلحان لتقريب هذه الحقيقة ، لأنهما نظما بمحض الباعث إلى التصوير الفنى ، ولم ينظما محاكاة للموضوعات التى يتناقلها الشعراء

وهذان البيتان هما قوله فى وصف حقل من الكتان :

وجلس من الكتان أخضر ناعم توسنه دانى الرباب مطير
إذا اطردت فيه الشمال تتابعت ذوائبه حتى يقال غدير

بيتان ليس لهما رنين ولا بهرج ولا بارقة من المحسنات وأفانين الأناقة ؛ ولكنهما لا يدعان محسوسة واحدة من محسوسات حقل الكتان إلا وعياها وسجلاها والتهماها كما يلتهم الفم الجائع مايشتهيه

فالصورة المرئية لها عناصرها التى تتم بها من جميع نواحيها : عنصر المنظر كله ، وعنصر اللون ، وعنصر اللمس ، وعنصر الوقت الذى تراها ، وعنصر الموقع الذى تقع فيه من المكان ، وعنصر الحركة .

ما من شيء يبقى فى الصورة المرئية بعد استيعاب هذا ، وما من شيء من هذا لم يستوعبه ذانك البيتان

فى كلمة « جلس » تمثيل للمنظر كله . اختارها ولم يختر كلمة حقل أو مزرعة أو ما شابه هذه الكلمات ، لأنها تمثل المنظر تمثيلاً لا يتفق لسواها

وأخضر تذكرنا اللون ، وناعم تذكرنا اللمس ، والتوسن يذكرنا وقت الوسن وشعور الوسن فى وقت واحد ، ودانى الرباب المطير يمثل لنا حواشى المكان حيث تحيط بذلك الكتان ، واطراد الذوائب كاطراد الغدير يمثل لنا الحركة على أحسن تشبيه وأصدق محاكاة .

تمت الصورة على هذا النحو لأن كل حاسة من حواس هذا الشاعر الخالد هى فى جوعها إلى محسوساتها كالفم الجائع إلى الطعام الذى تقوم به الحياة

زجاجة حساسة شاملة لا تخطئ شيئاً مما يقابلها ، وتصيبه لأنها حية حية بالغة فى الحياة ، لا لمراعاة النظير ولا لتجويد المحسنات ولا لطرق الأبواب التى تقدم بطرقها الشعراء

إذا قرئ ابن الرومى على هذا النحو عرف ابن الرومى شاعراً لا نظير له فى آداب الدنيا ، وإنما الطريق إلى قراءته على هذا النحو أن نحس كما أحس وأن نعلم ما عنده لنبحث عنه ونلتفت إليه ونظفر به حيثما وجدناه

ولمن شاء أن يذكرنى ماشاء من أبيات وصفه أبين له ما فيها من عناصر الاستيعاب التى لم تتفق لغيره من الشعراء ، فإنما وصفه لجلس الكتان نموذج قريب المتناول لسائر الأوصاف

* * *

أما الأديب « ح . نظمى » الذى يسألنى عن غلاة المحدثين من المصورين فينتظر منى جوابها مسهباً عن مدرستهم ومدارس أمثالهم فى سائر الفنون ، لأن هذه البدعة قد عمت فنوناً أخرى ولم تنحصر فى التصوير

والذى أراه أن الإسهاب هنا فضول لا حاجة إليه ، لأن بطلان الأساس الذى قامت عليه هذه المدرسة قد يظهر فى بضعة سطور

فالمصورون على مذهب الغلاة المحدثين ينسون قواعد الرسم وينسون ملامح الشبه ، وينسون أصول التلوين ، ويرسمون الرجل فلا تعرفه بملامحه ولا بظاهر شكله ولا تميز بينه وبين غيره بعلامة تتفق عليها الأنظار ، لأنهم يزعمون أنهم يعرضونه لك كما يتمثل فى الوعى الباطن أو كما يشعر هو فى باطن وعيه ، ولا يعرضونه لك كما تراه بالعين

صـــلوات فـكر
فى محاريب الطبيعة

[كتب كثير من هذه الخواطر فى الرستمية بالعراق العزيز ، فهى مهداة إليـه]

للأستاذ عبد المنعم خلاف

١٤ – مقول الشوك

أنظر بعينيك وحاذر أن تَدمَى من مواقع النظر ... واجمع أطراف ثيابك لا تعْـلَق بها حُماتُ الشوك فتتمزق ... وناقِـلْ الخطى فى حذر وخشية ، حتى لا تقع القدم على هذه الأسِنَّة المُشرعَة ...

لا بلابل هنا ولا فَرَاشات ، وإنما نِمالٌ تسعى فى حذر ... ولا ورق يرقص مع النسمات ، وإنمـا اهتزازاتُ حِرابٍ تُدمى جسم النسيم ! ...

ومع ذلك فقد مددت يدى وقطفت عِذقاً ... فإذا هندسة بارعة ، وإذا القلم الذى نسق الزهرة ونسج حريرها ووشَّى أفـوافَهـا قد صنع هنا كذلك عجباً !

يد الخالق تُدبِّب الشوك ولا تَدمَى ، وتَمُطُّ فمَ الخنزير ولا تتنجس !

١٥ – جانيات الشوك

جاء الربيع وأخرجت الأرض نباتها من الزهر والثمر والشوك ...

وخرج كل مالك يقطف ويجنى مما يملك من الحقول والبساتين

وخرجت جانيات الشوك إلى الأرض البور التى احتكرتها الطبيعة لنفسها لـكى تخططها بالرياح وتسقيها بالسَّيح والمَطر ، وتنبت فيها ما تشاء ...

خرجن يسعين حافيات قد لَفَّـفن سيقانهن بِخِرَقٍ بالية حفظاً للجمال النِّسوى من الخدش والتجريح . . . عليهن ثياب ممزقة ، وفى أيديهن حبال رثة ، يوزعن نظراتهن هنا وهناك على أديم الأرض باحثات عن أخصب البقاع بالشوك وأملئها بالعوْسج ، فإذا وجدنه أعملن فيه فئوسهن الصغيرة ثم جمعنه وحزمنه وحملنه على ظهورهن وسرن به كالقنافذ ! وطُفْـن به فى الأسواق فيشتريه بعض الناس بثمن بخس ليوقدوا به حماماتهم ومطابخهم .

ولا يبالين بالأزهار البرية الجميلة التى نبتت بجوار الأشواك ، إذ هن مشغولات بجمع ما يجلب ثمن الخبز ... إن الأزهار لا توقد ناراً فلا وزن لها فى أيديهن وأعينهن ...

هنا أمل وعمل من آمال القلوب وأعمال الأيدى يا أرباب الفـكر !

هنا ملمس من ملامس الدنيا يا ذوى العيش الرافه الناعم .

يا جامعات الزهور من روضات القصور . صافحن الأيدى

والخطأ هنا أن « الوعى الباطن » لم يخلق ليلغى الوعى الظاهر أو يمنعنا أن نرى الدنيا ، ولـكنه خلق ليظل وعياً باطناً حيث هو فى قرارة الضمير ، نستدل عليه بعلاماته التى تتفق عليها الأنظار . وما من أحد يبنى بيته أو يطبخ طعامه أو يخيط ملابسه أو يحضر دواءه على ما يتصوره هذا وذاك وأولئك فى وعيهم الباطن المزعوم . فلماذا يتغير وجه الإنسان لأن له وعياً باطناً أو لأن المصور له وعى باطن ، أو ما يزعم من هذا الهراء ؟

ومن البديه أن التصوير « فن » له أدواته وتحضيراته وملكاته التى لا تشبه ملـكات الفنون الأخرى ؛ فما هى الدروس التى يتعلمها المصور ليصبح على هذا المذهب مختصاً فى صناعته ؟ ما هى تلك الدروس إذا نحن ألغينا الرسم والتلوين والملامح والأشباه ؟ أهى دروس التنجيم عن الوعى الباطن ؟ وكيف الاتفاق عليها ولا يوجد اثنان يتفقان على تسمية صورة من متملى ذلك التنجيم ؟

الواقع أن « الوعى الباطن » له مكان واحد من شؤون هذه البدعة المرضية ، ومكانه هو إظهار العلة المرضية التى تكمن فى بواطن المصورين المشغوفين بكل بدعة من هذا القبيل

فما لا شك فيه أنهم جميعاً قوم « تفهون » تتخطاهم العيون ، فهم بين مشوه أو ضئيل أو مهزوم النفس أو عاجز عن لفت النظر إليه ؛ فحيلتهم هى حيلة هذا الضرب من الناس فى اتخاذ المشاكسة والتحدى والإغراب وسيلة للتنبيه إليه ، وهذه هى الحقيقة الواحدة التى لها شأن « بالوعى الباطن » فى مذهب هؤلاء النلاة ؛ فهم مصابون فى وعيهم الباطن يترجمونه كارهين ، ويعرضون على الناس من ثم أعراض مرض لا معارض فنون .

عباس محمود العقاد

الخشنة لأخواتكن جامعات الأشواك بأيديكن الناعمة ... فتلك أيضاً صدقة !

١٦ — قذارة عليها طهارة

رأيت قذارة عليها أشعة الشمس ! طهارة وصفاء يتنازلان إلى عالم النجاسة والكُدْرَة ... الطهارة تمد يدها إلى النجاسة لتطهرها وترفعها إليها ... العالى ينظر إلى السافل نظرة رائية مسعدة منقذة ولا يخشى أن يتلوث ويتسفل .

وهكذا النفوس الشمسية : تضيء للمظلمين ، وتطهر المتنجسين وترفع السافلين ...

١٧ — كما تنظر الحشرات

وضعت رأسي مرة بين الأعشاب مستلقياً ، فغطت الحشائش وجهي ، ونظرت السماء من خلالها ، فرأيت مقطعاً من مقاطع الدنيا في نظر بعض الأحياء الضئيلة القميئة ...

نظرت الدنيا نظر حشرة من تلك الحشرات التي تختبئ في الأعشاب ...

صار كل شيء عظيماً جداً في عيني ، حتى هذه الأوراق الصغيرة صارت في زَيْغ البصر كالجبال الشاهقة التي تناطح السحاب ... وخيل إليّ أني في غابة هائلة كثيفة مظلمة ...

ورأيت الفرق الهائل بين الدنيا في نظر إنسان والدنيا في نظر حشرة

وكل حي له دنيا رهينة بحواسه وهندسة وَضْعِه وقامَتِه .

فلو سجد بعض المتكبرين المتغطرسين برءوسهم حيث يضعون أقدامهم لتغير نظرهم للحياة ولأنفسهم وللناس ...

١٨ — مفارقات

سقطت فَرَاشَةٌ على زهرة ؛ وسقط جُعَلٌ على بَعْرَة ، وسقطت عيناي عليهما !

كان كل منهما في شغل بماله عن عالم الآخر ، ولكن قلبي كان في شغل شاغل بعالميهما ...

لقد رشفت الفراشة رشفة من رحيق الزهرة ثم شالت عنها إلى غيرها ، ولكن الخنفساء لم تبرح مكانها ، فرزقها كثير ...

إنها حيث تسير تجد العفونات والقذارات فتأكل وتتناسل أما الفراشة فجهودة كالرغبات الطائرة ... تسافر كثيراً حتى تظفر بملء أذْعيتها ...

لا شك أن جامع الخير والجمال من الدنيا يَلْقُطُه لقطاً من ثنايا الشر والقبح ويتعب في تحصيله تعب هذه الفراشة المجهودة

١٩ — الوهومة المحبوبة

كانت عناكب كثيرة صغيرة آمنة في بيوتها تنسج الشباك للصيد ... فانقضت عليها عصفور صغيرة وابتلعتها واحدة فواحدة أمام عيني ...

والناس يزعمون أن العصافير وديعة ومحبوبة ، ولكن من يدرس حياتها يعلم أنها شرسةٌ مشاغبة مقلقة كثيرة التصايح من أول النهار إلى آخره ، ولها وجه حادُّ الملامح ومنقارٌ جارح وطباع عصبية . وإنما يشفع لها جمال منظرها ورشاقة جسمها وضآلة حجمها ...

وكم غَرَّ المنظرُ وفَجَعَ المَخْبَرُ ! وكم رحم الناس ضعيفاً هو أقسى على الحياة من الذئب !

٢٠ — غضب الضعفاء

اشتبك عصفوران في عراك ، وصارا يتصايحان صياحاً لفتني إليهما ، ثم نقر كل منهما الآخر بمنقاره نقرة ، ثم افترقا من غير دم فقلت لقد فضحتما ضعفكما ... فما كان ينبغي لكما أن تقدما على غضب ، لأنكما لا تملكان قوته العنيفة

وينبغي للضعيف ألا يغضب ، لأن غضبه يزيده ضعفاً بما ينال من نفسه ، وما ينال من هزء الناس به ...

إن الغضب يحتاج إلى قوة يُفجِّر بها الدم !

٢١ — شباك العنكبوت

لماذا هذا الترقب والانتظار للختل والاغتيال أيتها العناكب ؟

لماذا تنسجين شباكك وتطرحينها في طريق الفراشات والنحل التي تحصل غذاءها بمجهودها لتقتنصيها وتشربي دماءها وأنت في مكانك ؟

لماذا تقطعين الطريق على العاملات المجهودات أيتها القعدة الكسيحة ؟

بخيط خفيّ رقيق تلقينه للريح تستطيعين أن تقتنصي أجنحة رفافة عاملة !

تمتصين دماء النافلات المخدوعات وترصّعين بحطام جثثها

وأشلائها بيوتك الواهنة التي لم تقم على أساس ...

ولكن لا ملام عليك ولا تثريب ... وإنما على أيد تملك المكانس التي تستطيع أن تبطش بك وتدك بيوتك وتخلص الضعفاء من أحابيلك ، ثم لا تفعل !

٢٢ – الهالوك

وهذا أيضاً نبات طفيلي كسيح الساق لا يضرب بجذر في الأرض ليقوم عليه ويستغنى به عن الاعتماد على الغير . رأيته يمد حباله وشباكه فيصطاد شجيرات من الورد والخشخاش ويقطع طرق غذائها ويسلبه لنفسه ويخنق أطفالها من الأزهار الجميلة ويلف قوام جسمه المتهالك على سيقانها ليعتمد عليها ، ثم يزهر ويضحك وينظر إلينا بوقاحة !

لقد أصاب شجيرات الورد بالشلل فلم تزهر وأزهر هو ... فلم أر بداً من أن أفصل بين الأصيل والدخيل الناصب الوقح بضربة فأس وإعمال يد لأخلص أطفال الورد المختنق الجائع المغيظ

أبداً يرصد عالم الشر قريناً من جنوده لكل فرد من عالم الخير يعلن عليه حرباً ...

فعلى إنسان الخير أن يقف دائماً في مكانه من الصف ، وأن يعمل فأسه دائماً في بستان الحياة يستأصل بها جذور الشر ويسحق أزهاره وثماره . وإلا لم يجد لنفسه غذاء ولعينه مسرحا ، ويفسد عليه عالم الشر كل إحساس بجمال الحياة ، ويسلبه متاعه بمعشوقاته من بنات الطبيعة الفاتنات

٢٣ — السائرات المطرقات

سائرات مكبوبات الوجوه الطويلة ، تنظر إلى الأرض دائماً كاسرات الجفون

كتل لحمية متجلدة ماتت أعصابها من فرط الضرب والحمل والإرهاق ووراثات الاضطهاد ...

قطع من الصبر والبلادة وموت النفس والهوان والسآمة ..

عيونها عميقة تنظر بهدوء لما حولها كأنها عيون فلاسفة فرغوا من حل جميع العقد والمشكلات وليس لها دموع تبكي بها وتعلن الشكوى ...

تريد أن تفرج عن قلوبها فترسل صوتها لترتاح ، فتخرج قلوبها مع همومها من حلاقيمها في صوت منكر فيأبى الناس عليها ذلك ويردون أصواتها وهمومها إلى نحورها ...

اغفروا أيها المالكون للمملوكين إذا تنفسوا

ارحموا الأغبياء والمحدودين فإنهم ما خلقوا أنفسهم حتى يعاقبوا أو يعاتبوا ...

لا البلبل خلق نفسه ولا الغراب يا أولي الألباب !

ترى ، متى يشعر الفلاحون والعمال بالرحمة لهذه المخلوقات فيعاملوها معاملة رفقة العمل ؟ ولكن الفلاحين والعمال لا يشعر رعاتهم نحوهم برحمة . فهم كذلك لا يشعرون بها لرعاياهم . كيلاً بكيل ... والموج دائماً ينحدر من الأعلى للأدنى ...

متى يأتي اليوم الذي ترتاح فيه هذه المخلوقات وتتخذ للزينة والجمال وحدها وتقتنى في حدائق الحيوان كمخلوقات أثرية تدل على عهد باد من عهود شقاء الإنسان وشقوة سكان الأرض معه ؟

هو اليوم الذي يقتني فيه كل فلاح وعامل حاجته من مخلوقات الحديد والفولاذ

عبد المنعم محمد خلوف

أحزان الأسود وأفراح القرود

يوم فضيحة «آدم» و «حواء»

للدكتور زكى مبارك

سارت الأمور إلى ما شاء القدَر أن تسير إليه ، وذاق آدم لأول مرة لذعة الندم الأليم ، فقد كان يملك زجر حواء عن قرب شجرة التين ، لو قُدّر له أن يتماسك فلم يخضع لسلطان حُسنها الوهّاج ...

وانزعجت حواء لما أصاب الجنة من زلزال ، فعرفت من أخطار الخطيئة ما لم تكن تعرف ، وأدركت أن المزاح فى تفسير الحرام والحلال عَبَثُ أطفال

— آدم ، لا تبتئس ، فقد عجّل الله بالعقوبة ، ولم يبق إلا أن نأنس بالاطمئنان

— وما هى العقوبة التى عجّل بها الله يا حواء ؟

— هى ما أصاب الجنة من زلزال ، فقد هدأت العواصف والقواصف ، وعاد كل شىء إلى قراره المألوف

— الزلزال الخطر هو البلبلة التى تثور فى صدرى ، وما أحسبنى سأستريح ، وهل أنت مطمئنة يا حواء ؟

— لا ، وإنما أردت أن أهوّن عليك وقْع ما نحن فيه ، فما زال قلبى يرتعد من هول الصدمة ، وليتنى متّ قبل الخطيئة وكنت نسياً منسيًّا !

— أرأيت يا حواء عواقب الإصاخة لأقوال المفسدين ؟ ألم أنهكِ عن صحبة الحية ؟ ألم أخوّفك من الاستماع إلى إبليس ؟

— ليتنى أطعتك ! ليتنى أطعتك !

— وهل تنفع شيئاً ليت ؟

— فى ليت تعزيةٌ للخائبين ، فلنتعزّ بها إلى حين !

وفى أثناء هذا الحوار كان آدم يلاحظ أن أسراباً من الطير والحيوان تنظر إليه وإلى حواء باستغراب ثم تنصرف ، فما الذى جدّ عليه وعلى حواء بعد الزلزال حتى يقع ذلك الاستغراب ؟

وحانت من آدم التفاتة فرأى سوأة حواء بادية ، وأطرق فرأى سوأته قد انكشفت والعياذ بالذوق ، وكذلك أدرك أن أسراب الطير والحيوان قد هالها أن يمسى آدم وحواء وهما فى حال تسر العدو وتحزن الصديق

كانت الفاجعة أعنف مما يتصوره الخيال ، فقد فُطر آدم على الحياء ، ألم يكن أول مخلوق ستر ذلك الشئ ؟ أما الكلام عن حياء حواء ، فهو حديثٌ مُعاد ، فما استطاع أحد من سكان الفردوس أن يتوهم صورة المنطقة المحرمة من جسمها الجميل

— أتصنع المعصية كل هذا يا آدم ؟

— وأشنع من هذا ، فقد يعاقب العصاة بالقتل

— الفضيحة أبشع من القتل

— أنا لا أراها كذلك ، فالقتل أخطر وأعنف

— الرجل يُقتل بالسيف ، والمرأة تُقتل بالفضيحة ، فأنا وحدى المقتولة بعقوبة اليوم

— وما المخرَج يا حواء ؟

— نخصف على هاتين السوأتين من ورق الجنة ، إلى أن يقضى الله فى أمرنا بما يشاء

* * *

لا موجب للاطالة فى تصوير جزع آدم وفزع حواء مما صارا إليه ، فالوصف لا يحيط بصورة الحزن الذى يساور النفس النقية حين تسقط أول مرة ، فهى تتخيل أن شبح الفضيحة يلاحقها فى كل طريق ، وأن الموجودات كلها عيون تنظر إليها باحتقار وازدراء ، ولا كذلك النفس الخبيثة ، فهى لا تتأثر بالفضيحة إلا بمقدار ما يتأثر الصخر الأصم بهبوب الريح

كان آدم على فطرته الأولى يوم اقترف ما اقترف ، وكان وحيداً فى بلواه ، فلم يجد من أصدقاء السوء من يهوّن عليه مصيبة العصيان

وحواء ؟ وحواء ؟

كانت زهرة نضيرة لم تسمع بأن فى الوجود لوافح ترزا الأزهار بالذبول

وهل كانت حواء تجدّ وهى تدعو رفيقها إلى قرب الثمر الممنوع ؟

إن شيث حدثنا أن تمردها على الأوامر الربانية لم يكن إلا فنًّا من فنون الدلال . ولعل هذا هو السبب فى أن الجنة لم تُصب بأذًى بعد أكلها من شجرة التين ، وإنما وقع ما وقع حين هفا آدم ، لأنه رُزق من العقل ما يكفى للتمييز بين المحرَّم والمباح

وزاد فى هم حواء عرفانُها بخطورة النزق بعد الذى كان ، فصارت تصرخ من وقت إلى وقت صراخاً يصل إلى مسامع سكان الفردوس بأعنف مما يصل صوت المظلوم إلى آذان القضاة العادلين . . . وكذلك لطف الله بحواء ، فأمر ورق الجنة أن

يكون عند ما تريد ليحميها من فضول العيون

لا موجب للاطالة بتلخيص الصفحات التى دوّنها شيث ابن عربانوس فى هذا المقام ، فما نطيق ولا يطيق القراء مواجهة ما انطوت عليه من أحزان وكروب ، فلننظر كيف تسامع سكان الجنة بفضيحة آدم وحواء فى لحظات

فى لحظات ؟ وكيف ؟

كان جمهور أهل الجنة فى ذلك الوقت جمهوراً قليل الأهمية من الوجهة العددية ؛ وللجماهير الصغيرة محاسن وعيوب ، فمن السهل أن نكوّن رأياً عاماً فى الجمهور الصغير بخطبة أو خطبتين وأن نروضه على الفضائل المنشودة حين نشاء بأيسر عناء ، ولكن من الصعب أن نصدّه عن تسمّع الأخبار السيئة ، فهو يُقبِل عليها بشهية عجيبة ، وهو يجد لذة فى مضغ أحاديث الإفك والبهتان ، وقد يتزيّد فيضيف المآثم إلى الأبرياء ، ليظفر بالقوت المحبوب وهو الاغتياب ، فما يطيب للرجل الحقير أو الجمهور الصغير غير الخوض فى الأحاديث التى تشوّه أقدار الأكابر من الرجال !

وعلى هذا وصلت أخبار آدم وحواء — أخبارها المزعجة — إلى جميع سكان الجنة فى لمحات معدودات ، وصار الحديث عن مصيرها الفاجع زاد الألسنة فى كل مكان

فكيف تلقّى الفردوسيون ذلك النبأ الفظيع ؟

انقسموا إلى فريقين : فريق الجازعين وفريق الشامتين

فمن الذى جزع ؟ ومن الذى شمِت ؟

جزع الأسود ، وفرح القرود ، ولذلك حديثٌ يستحق التسجيل :

لم يكد يتسامع الأسود بفضيحة آدم حتى صاموا عن الطعام حزناً لبلية ذلك المخلوق النبيل ؛ ثم اجتمعوا فى « غابة العَرِين » ليسمعوا خطبة كبيرهم غَضَنْفَلُوث ، وقد خطبهم فقال :

« سُجَرائى وأشبالى

ترامتْ إلىَّ وإليكم أخبار الفضيحة التى رُزِئَ بها آدم ، وقد جزعتُ لها كما جزعتم ، برغم اختلاف الجنس ؛ فنحن نمشى على أربع وهو يمشى على اثنتين ، وقوّتنا بالظفر والناب ، وقوّته بالقلب واللسان ؛ ولكن هنالك آصرة تجمع بيننا وبين ذلك المخلوق ، وهى الكرامة الذاتية ، فهو يأبى الضيم كما نأباه ، وهو يُزْهى ويختال كما نُزْهى ونختال . ولست أعرف قيمة شجرة التين حتى أحكم له أو عليه ، فنحن لحمِيّون لا نباتيون ، ومن الصعب أن ندرك ما فى التين من دواعى الاشتهاء ، وقد حلّ به ما حل ، وذاق من علقم الفضيحة ما ذاق ، وسيقضى الله فى أمره بما يشاء ، فهل ترون من الجرأة على الله أن نعلن الحداد لمصيبة آدم المظلوم ؟ »

أحد الأسود : أنحزنُ لمصيبة مخلوق عصى الله ؟

غضنفلوث : إذا كان مخلوقاً كريماً ، وآدم مخلوقٌ كريم ، فهو وحده الذى يستتر حين يلامس أنثاه ، وما رأيته أبداً فى موقف ينافى الأدب والحياء

أسدٌ آخر : وكيف نجيب إذا عدّ الله حزننا لآدم ضرباً من العصيان ؟

غضنفلوث : الله أكبر من أن يستظهر على عباده المذنبين بشماتة حيوان

أسد ثالث : العطف على المذنبين إغراء بالذنوب

غضنفلوث : هنا دقيقة تخفى عليك ، وهى أن العطف على المذنب يجتثّ من صدره بذور العصيان ، ويضيفه إلى أهل الطاعة والامتثال

أسد رابع : نحن مع الله فى التنكيل بالمجرمين

غضنفلوث : ومن نحن حتى نشارك الله فى الجبروت ؟

أسد خامس : نحن أسود

غضنفلوث : والأسود تحفظ الأدب مع الله فتترك له التفرد بالثواب والعقاب

أسد سادس : لا يجوز العطف على مخلوق خدعته أنثاه

وهنا انبرتْ لَبُولُوث زوجة غضنفلوث فقالت فى زئير يوقظ الأموات :

« لعلكم تريدون التعريض بحواء ، فهل تعرفون حواء ؟ إسألونى أخبركم : لقد كانت تجيء من لحظة إلى لحظة لتداعب الأشبال بأناملها اللطاف . وكنت أقدر أول الأمر أنها تفعل ذلك بسبب حرمانها من النسل ، ثم عرفت أنها مفطورة على الرفق والحنان ، وأنها لا تعيش إلا فى ظلال الرفق والحنان ... ويلى عليك يا حواء ، فما رأيت أرخم منك صوتاً ، ولا أنضر وجهاً ، ولا ألطف مِشية ! كنت أنظر إلى نهديك الكاعبين فأعجب

وأطرب وأشتاق ، ما أجمل تهديك يا حواء ! وما أشد جزعي حين أتذكر أنك لم تُرزَقي طفلاً يناغم حلمتيك في جذل وانشراح ! وهل أنسى أن حواء أرشق مخلوقة تمشي على اثنتين ؟ لقد كان تثنيها وهي تتخطر فوق شط الكوثر يخلع قلبي »

غضنفلوث : حواء جميلة إلى هذه الدرجة ؟

لبولوث : وأجمل من الغزال المكحول بمرود السحر والفتون

— عطف الأنثى على الأنثى معروف !

— وتحامُل الذكر على الأنثى لا يحتاج إلى تعريف . . . وبلي عليك يا حواء ! أأنت تُفضَحين بين سكان الفردوس فضيحة جديدة ؟

— وهل كانت لحواء فضائح قديمة ؟

— من يومها وهي فضيحة الفضائح ، فشيتها فضيحة ، ونظرتها فضيحة ، ونبرتها فضيحة ، ودلالها فضّاح فضّاح فضّاح . وبلي عليك يا حواء ، وبلي عليك يا أختي !

— يظهر أنك مفتونة بحواء !

— وكيف لا أُفتَن بأنثى تفردت بالجسم الأملس إلا بعض شعرات . ولو جازت الغيرة على مثلي لأصبحت من الهوالك

ثم تعكّر هذا الحوار الرقيق بأصوات غليظة وصل صداها البغيض إلى ساحة العرين ، فما تلك الأصوات ؟

تلك أصوات القرود وقد شمتوا بآدم وحواء ، فكانوا يثبون إلى الأشجار ثم ينزلون ، في انجذاب يشهد بأنهم صاروا من الفرح مجانين ، ثم بدا لهم أن يضعوا أخشاباً في الكوثر ليركبوها ، كما كان يصنع آدم وهو يداعب حواء

وسمع الأسد الأكبر بهذا الضجيج فأقبل يعنّف شيخ القرود

— ما هذه الضجة ، أيها القرد ؟

— نحن نحتفل بعدل الله

— وما ذلك العدل ؟

— هو الحكم على آدم بما هو له أهل

— وما خطر ذلك الحكم الذي استوجب أن تقيموا من أجله هذا الاحتفال ؟

— لقد كُشِفت سوأة آدم ، ولله الحمد !

— إن سوأة آدم من أمام ، فهو يسترها بلا عناء ، وسوأتك من خَلف أيها القرد ، وستظل إلى الأبد وأنت مفضوح ، لأنك شمتّ بآدم المظلوم

— كيف يكون مظلوماً وقد عصى الله ؟

— ذلك شرف لن تناله أبداً . لأنك ضعيف

— وهل تحتاج المعصية إلى قدرة ؟

— نعم ، ولأجل هذا سأعصى الله كما عصاه آدم

— فتأكل من شجرة التين ؟

— أي تين يا قرد ؟ إن لي في العصيان مذهباً لا يخطر للقرود في بال

— وما هو ذلك المذهب ؟

— هو أن أبطش بكم جميعاً في لحظة واحدة فأريح الوجود من وجوهكم القباح

— أنت إذن لا تخاف الله ؟

— وكيف أخاف من يسمح بأن تكون للقرود دولة ؟ أنا كافر بالله ، كافر ، كافر ، إن جاز عنده أن تقوم دولة للقرود أو أشباه القرود ؛ ففضوا هذا الاحتفال السخيف ، وعودوا إلى حظائركم صاغرين ، وإلا نكلت بكم أشنع تنكيل

— وهل صنعنا شيئاً يعاب ؟

— إن الشماتة إثمٌ حقير وخسيس ، وهي لا تقع إلا من الأوشاب ، فانزووا أيها القرود قبل أن يحل عليكم غضبي ، فأنتم أحقر من أن تبوءوا بغضب الله ، ولعله منحى من الشراسة ما منح لأؤدب ما يجلّ عن تأديبه من القرود والثعالب والذئاب

* * *

حين وقع الزلزال في الجنة نظر رضوان فرأى الحية تزحف بسرعة تفوق المألوف من زحفها الممقوت ، فأدرك أن عليها جانباً من المسئولية ، فمنعها من الخروج إلى أن تنجلي الأمور . ونظر فرأى إبليس يهرول ليقتحم باب النجاة ، فردّه على عقبيه إلى أن يأذن الله بأن يكون من الناجين

ثم سُمع هاتفٌ يصيح :

— ماذا تستفيد يا آدم من الاختباء في تلك الألفاف ؟ (١)

(١) إشارة إلى ما جاء في كتاب « شيث » وما جاء في « التوراة » من أن آدم وحواء اختبئا في ألفاف الأشجار حياء من الله بعد انكشاف الستر عن السوأتين المجهولتين

أثر الآداب الأجنبية
فى الأدب الفرنسى
للأستاذ صلاح الدين المنجد

إن لامتزاج الآداب بعضها ببعض ، أثراً بالغاً فى ازدهارها ونموها ، لما فى ذلك من لقاح مثمر وإحياء باهر ، ولما تكتسبه من أناقة فى العرض ، وطرافة فى التصوير ، وبراعة فى الخيال ، ورهافة فى الذوق

ولعل ازدهار الأدب العربى فى العصر العباسى آية على فائدة اللقاح فى الأدب وطيب جناه ، فقد حليت نغماته ، وطرُفت ألوانه ، وتدفقت الحياة فى صوره وتهاويله ، وخرج من الجمود إلى الحركة ، ومن القيود إلى الانطلاق

وقد كان الأدب الفرنسى أكثر الآداب تأثراً بالآداب الأجنبية ، ولعل أعظم روائعه كانت من وحى البلدان المجاورة وآدابها . على أن هذا التأثير كان يقتصر على الفكرة ، لا على الشكل فى أكثر الأحايين

بدأت فرنسة تستمد من آداب الأمم المجاورة مادة لأدبها ، منذ أوائل القرن السادس عشر . فقد كان القصاصان « مرغريت دُ فالوا M. de Valois » و « برانتوم Brantôme » ينهجان نهج « بوكاتشيو » القصصى الإيطالى : حتى إذا كان النصف الثانى من هذا القرن ازداد هذا التأثير واتسع . فأسست طائفة من الأدباء مجمعاً لبعث الأدب الفرنسى سموه Pleïade ورأسهم « رونسار » الشاعر ، وكانوا معجبين بالشاعر الإيطالى « بترارك Pétrarque » ، فتتبعوا أشعاره بالدراسة والترجمة والنشر ، ونهجوا نهجه فى نظمه وأفكاره . وفى الحقبة نفسها ، أى فى النصف الثانى من القرن السادس عشر ، قامت فى مدينة « ليون » فى الجنوب ، مدرسة خاصة لتمجيد آراء ذلك الشاعر الإيطالى وتقليد أشعاره

فلما جاء القرن السابع عشر ، عكف « موليير » على المسرح الإيطالى يقتبس منه . وهذا الاقتباس واضح فى روايته L'Etourdi وغيرها . وكان يحتفظ فى أحايين كثيرة ، بالنماذج الإيطالية Types نفسها

وظل تأثير الأدب الإيطالى فى الأدب الفرنسى مستمراً . ففى القرن الثامن عشر ، أولع الأدباء الفرنسيون بالآثار الإيطالية المسرحية « كرينار Regnard » و « لوساج Le Sage » و « ماريفو Marivoux » أما فى الشعر ، فكان بعض المحدثين آنئذ ، يقلدون « تانسيل Tansille » ، ويستقون من « لوتاس Le Tasse »

على أن القرن السابع عشر قد عرف أدباً آخر ، أثّر فى الأدب الفرنسى ؛ وكان ينبوعاً ارتشف منه الاتباعيون مادة روائعهم ؛ وهو الأدب الإسبانى . فقد عبّ منه كثيرون ومنهم « كورنيل Corneille » فى مأساته « السيد Cid وأعجب الأدباء الفرنسيون « بلوب دُ ڤيرجا Lope de Verga » و« آلاركون Alarcon » و« تيرسو دُ موليناTirso de Molina » واقتبسوا من آثارهم ، ونقلوا إلى الفرنسية بعضها . وقد استمر هذا التأثير حتى القرن الثامن عشر ؛ فقد اقتبس « لوساج » من المسرح الإسبانى فكرة روايته « الشيطان الأعرج » كما اقتبس «بومارشيه» منه روايته « زواج الفيجارو »

* * *

ثم جاء الأدب الإنجليزى يؤثر فى الأدب الفرنسى . ولم تؤثر أمة فى فرنسة تأثير انجلترا فيها . فقد كان أثرها ظاهراً فى نواحى شتى : فى الأدب ، والفلسفة ، والسياسة ، والأذواق . وكانت ملجأ لكثير من الأدباء الفرنسيين ومنفى . فقد رحل إليها ڤولتير ، ومونتسكيو ، وبوفون ، وروسو ، وشاتوبريان ، ومدام دُستال وغيرهم ؛ فأقاموا فيها وأعجبوا بها . وقد أبان ڤولتير فى « رسائله الإنكليزية Lettres Anglaises » عما أحس به فى تلك البلاد .

— لأنجو من حسابك يا مولاى

— وكيف تنجو من حسابى ، وأنت جان أثيم ؟

— لك الأمر من قبل ومن بعد

— ولهذا أدعوك إلى الوقوف غداً فى ساحة العدل ، فأحضر من تريد من الشهود ، ومن تشاء من المحامين ، ليرتفع اللبس فى تقدير مالك وما عليك

— أنت الشاهد وأنت الوكيل ، فاقض بعدلك ورحمتك ما أنت قاض

— هو ذلك ، ولكنى أريد أن أقيم بنفسى أول محكمة فى الوجود

(للحديث شجون) **زكى مبارك**

وتكلم ، ماراق له الكلام ، على الدين والفلسفة والأدب والشعر فيها . حتى أنه حاول أن يقتبس من شكسبير بعض مشاهد رواياته .

ثم نقلت روايات « ريشاردسون Richardson » و « سويفت Swift » و « دفوا Defœ » فلقيت إعجاباً وأثارت حماسة .

ودبت الحياة في الشعر الفرنسي التثقيفي Didactique مذ قرأ الناس « تومسون Thomson » و « جراى Gray » . وكان شعر « أوسيان Ossian » مقدمة للشعر الإبداعي . وأثرت فلسفة « لوك J. Locke » و « هيوم Hume » في رجال الموسوعة الفرنسية . وأصبح طراز الحكم الإنجليزي مثلاً أعلى عند سياسي فرنسة . فلما شبت الثورة الفرنسية ، انقطع هذا الاتصال ؛ على أنه عاد أشد قوة ، وأعظم شأناً بعدها . وانكب الشعراء الإبداعيون آنئذ على روائع « بيرون Byron » و « شيلي Schelly » و « شكسبير Shakespeare » يقلدونها مرة ويستوحونها مرات

وما كاد الهرم يدرك القرن الثامن عشر حتى تسرب الأدب الألماني إلى فرنسة . وكان لنقد « ليسنغ Lessing » أثر بعيد فيها . ثم جاء « جوته » ونشر « ڤرتر » فألهبت الشاعر والعواطف ؛ وهزت الناس ، فانتحر منهم عدد كثير تقليداً لڤرتر . ثم أخذ الفرنسيون يقلدون « شيلر Schiller » وأخذت فلسفة الألمان تحل محل الفلسفات الأخرى . ولعل أنطق صورة لهذا التأثير كتاب « مدام دستال » عن « ألمانية Allemagne » ، ثم عرّج الناس وأخذوا يتتبعون آثار « جوته » و « شيلر » و« هوفمان » و « هنري هاين »

* * *

وفي أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، اتجهت فرنسة نحو الآداب الأسكاندنافية والروسية ، فقد استهوى الفرنسيين نجاح الروايات الروسية ، كما جذبتهم الروايات الإنجليزية من قبل ، فترجمت روايات « غوغول » و « تورجنيف Tourguenev » و « دستويفسكي Dostoïeveski » حتى ألفها وتناقلها ، ونحا بعض الأدباء في رواياتهم نحوها

على أن هذا التأثير قد اتسع منذ أوائل هذا القرن العشرين ؛ لسرعة المواصلات ، وانتشار المجلات ، وازدهار المؤلفات . وغزت أسواق فرنسة مؤلفات الأمم كلها . فكيبلنغ ودانونزيو . وسلمى لاجرلوف ، وبرنارد شو ، وأوسكار وايلد ، أثروا في الكتاب المعاصرين وإن لم تظهر آثار هذا التقليد واضحة بعد .

وكذلك بدأت مؤلفات الكتاب العرب تظهر بالفرنسية أيضاً . فقد نقلت لها أعظم آثار الأستاذين توفيق الحكيم ومحمود تيمور ، وبعض آثار الأستاذ الدكتور طه حسين وبعض مقالات للأستاذ الرافعي

أما في القرون الخالية فقد كان للشرق العربي أثر في بعض مؤلفات شعراء فرنسة وكتابها ، كلامارتين ، وباريس ، ولوتي ، ورينان ، وجيرار دونرفال ، والأخوين تارود ، ودورجليس ، وغيرهم ممن زاروا بلاد الشام ومصر وتمتعوا بما فيها من روعة وجمال وسحر ، فوصفوها وخصوها بالكتب . ولا ننس ما كان لكتاب ألف ليلة وليلة الذي نقل إلى الفرنسية منذ قرون ، من أثر وما كان لكتب السياحات والرحلات والعجائب التي نقلت من قبول وتأثير وإعجاب[1]

وهكذا نجد أن الأدب الفرنسي قد استمد كثيراً من آداب الأمم الأخرى ، فكان ذلك من أسباب ازدهاره ونموه ، ورقته وسموه

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) سنعود فنبين أثر الشرق في الأدب الفرنسي بعد قريب

من أدب القرن التاسع

كتاب «سحر العيون»

للأستاذ أحمد يوسف نجاتي

— ٢ —

٦ — ومن أولاد أبي الوليد بن الشحنة أوحد الدين عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن محمود : ولد سنة ٧٨٨ وتلقى العلم ببلده وبالقاهرة ، وولى قضاء مدينة « صفد » مراراً ، وناب في القاهرة عن قاضيها [١] وتوفى بها بالطاعون [٢] سنة ٨٣٣ هـ . رحمه الله

وهؤلاء المتقدمون من بنى الشحنة أدركهم الموت قبل مولد البدرىّ صاحب « سحر العيون » ؛ وأما الذين عاصرهم البدرى وانتمى إليهم فمنهم :

٧ — محب الدين أبو الفضل بن المحب أبي الوليد المتقدم ابن كمال الدين ، فهو محمد بن محمد بن محمد بن محمود وهو من أشهر بنى الشحنة وأسيرهم ذكراً : ولد بمدينة حلب سنة ٨٠٤ ، فهو أسنّ من البدرىّ بنحو ٤٣ سنة ، وسافر مع والده صبيًّا لم يبلغ عشر سنين إلى مصر ، ثم قدم إليها مستقلاً بنفسه بعد ذلك ، وتلقى العلم بمدن الشام ومصر ، وجدّ في الطلب ، وأخذ

(١) هو القاضي زين الدين عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن على ابن هاشم التفهنى المصري توفى سنة ٨٣٥

(٢) فى سنة ١٨٣٣ اشتدت وطأة الطاعون بالشام ومصر قال ابن حجر أركب أربعون نفساً مركباً يقصدون الصعيد فما وصلت منتصف الطريق حتى مات الجميع وأن ثمانية عشر صياداً اجتمعوا في مكان فمات منهم فى يوم واحد أربعة عشر فجهزهم الأربعة فمات منهم وهم فى الطريق ثلاثة فلما وصل بهم الآخر إلى المقبرة مات !

عن كثيرين من أجلاء عصره بالقطرين ، وكان آية فى الذكاء وقوة الحافظة حتى قيل فيه :

سمح الزمان بمثـله فاعجب له	إن الزمان بمثله لشحيح
فالأصل زاكٍ والخلال حميدة	والذهن صاف واللسان فصيح

وفيه يقول بعض شيوخه [١] :

أقسمت إن جدّ وطال المدى	أروى الورى من بحره الزاخر
فقل لمن بالسبق قد فضّلوا	(كم ترك الأول للآخر ؟)

ولما كملت أداته ، ولى الوظائف الجليلة من قضاء وتدريس ونحوهما فولى قضاء الحنفية بمدينة حلب سنة ٨٣٦ وعظمت رياسته وظهرت كفايته ، وانطلقت الألسنة بذكره ، وظل في مدة الظاهر جقمق [٢] بين رفعة وخفض وولاية وعزل حتى ولى كتابة السر بالقاهرة سنة ٨٥٧ ، ولم يلبث أن صرف عنها وبقى بالقاهرة حيناً من الدهر في عيشة غير راضية ، ثم رحل إلى بيت المقدس وأقام بها إلى سنة ٨٦٢ ثم عاد إلى وطنه حلب . ثم ولى كتابة السر بالقاهرة ثانية سنة ٨٦٣ ، فسار فيها سيرة مشكورة وأقبل

(١) هو بدر الدين محمد بن أبي بكر بن محمد بن سلامة الماردينى الحلبى الحنفى كان فقيهاً فاضلا متقناً علوم الشريعة واللسان ولد سنة ٧٥٠ وتوفى بحلب سنة ٨٣٧

(٢) هو الملك الظاهر أبو سعيد جقمق بن عبد الله العلائي الظاهرى ولى سلطنة مصر والشام سنة ٨٤٢ وكان ملكا جليل القدر عظيم السلطان قد صفا له الوقت وطابت فى زمنه الأيام وعمر كثيراً من المساجد والمدارس والقناطر والجسور ، وعمر مسجد الخيف بمنى ، وجدد فى الحرم الشريف مواضع ، وكان قد حبب إليه البر وعمل الخير فأنفق فى سبيل ذلك أموالا طائلة ، وكان محباً للعلماء والفقهاء والأشراف والصالحين مكرماً لهم جواداً عف الذيل واليد واللسان شجاعاً فقيهاً فاضلا ، وأخذ بنيه بالتفقه فى الدين وتلقي العلم عن أجلاء عصره (وكان ابنه نور الدين أبو المعالى محمد المولود فى سنة ٨١٦ ماهراً فى العلم حافظاً للقرآن الكريم ، وله ألف ابن تغرى بردى كتابه « النجوم الزاهرة » ، وأدركته منيته في سنة ٨٤٧ (وهى السنة التى ولد فيها صاحبنا البدرى) ، ثم لما أحس الملك الظاهر جقمق بدنو أجله خلع نفسه من الملك فى أوائل سنة ٨٥٧ وعهد بالأمر إلى ولده الملك المنصور عثمان ، ولم يلبث أن توفى فى ٣ صفر سنة ٨٥٧ ؛ وخلع ولده المنصور عقب ذلك وتولى الملك بعده الملك الأشرف إينال العلائى الآتى ذكره

عليه السلطان الأشرف « إينـال » إقبالاً عظيماً حتى كان هو المنشئ لعهده فى مرض موته لولده أحمد الملقب « بالمؤيد » ، وبقى بعـد ذلك بالقاهرة يتقلد وظائف القضاء والتدريس ، ولاقى كثيراً من صروف الزمان ومنافسة الأقران حتى توفى بالقاهرة فى أوائل سنة ٨٩٠ . فبان من هذا أنـ الذى أنشأ عهد « إينال » لولده « المؤيد » هو أبو الفضل المحب الأصغر لا أبوه أبو الوليد المحب الأكبر المتقدم والمتوفى سنة ٨١٥ ، ولـكن رأيت فى فهرس دار الـكتب بالجزء الخامس صفحة ٢٧٣ ما يأتى :

« عهد للسلطان المؤيد أبى الفتح أحمد بن الملك الأشرف « إينال » تأليف العلامة أبى الوليد قاضى القضاة محب الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازى بن أيوب الشهير بابن الشحنة التركى الحلبى الحنفى المولود سنة ٧٤٩ ، والمتوفى بحلب يوم الجمعة الثانى عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٨١٥ هـ أوله : هذا عهد شريف تبسم ثغر رَبيعه لما تنسم الخ (نسخة ضمن مجموعة فى مجلد مخطوطة بقلم معتاد) اهـ رقم ٥٩ ؛ وهذا غير معقول ، فإن الملك الأشرف سيف الدين أبا النصر إينال العلائى — وهو الثانى عشر من ملوك الجراكسة — إنمـا ولى مملـكة مصر فى شهر ربيع الأول سنة ٨٥٧ : (بعد وفاة أبى الوليد المحب الأكبر والد أبى الفضل المحب الأصغر بنحو٣٢ سنة) ؛ واستمر الملك الأشرف « إينال » سلطاناً إلى أن خلع نفسه وعقد الولاية لولده الملك المؤيد شهاب الدين أبى الفتح أحمد فى ١٤ من جمادى الأولى سنة ٨٦٥ بعـد وفاة أبى الوليد بنصف قرن (فينبغى إصلاح ما فى فهرس الدار بنسبة العهد إلى كاتبه ، وإنما كان الاشتباه ، لأن ابنى الشحنة هذين الأب وابنه يلقب كلاهما « بالمحب ابن الشحنة » ، وإنمـا يمتز بينهما بالـكنية ؛ فـكنية كاتب العهد أبو الفضل توفى سنة ٨٩٠ ، وكنية والده أبو الوليـد وتوفى سنة ٨١٥ . هذا ، وقد توفى الأشرف « إينال » عقب ذلك بيوم واحد (١٥ جمادى الأولى سنة ٨٦٥) ، ومكث ولده المؤيد أحمد سلطاناً زهاء خمسة أشهر ، ثم خلعه أتابكه (مربيه) الملك الظاهر «خشقدم» سيف الدين فى شهر رمضان سنة ٨٦٥ الذى كان سلطاناً بارًّا محبًّا للخير توفى فى شهر ربيع الأول سنة ٨٧٢ .

ولقد كان المحب بن الشحنة أبو الفضل عالماً جليلاً أديباً فصيحاً بديع النظم والنثر سريعهما حلو الحديث حسن العشرة يميل إلى النـكتة اللطيفة والنادرة الظريفة ، عذب الروح رقيق الطبع علىّ الهمة صبوراً على محن الدهر ورزايا الأيام ، ذا شغف بجمع الـكتب واقتناء النادر منها . وله مصنفات فى الفقه والأصول والحديث والتفسير والتاريخ وغيرها . وله من مطلع قصيدة وهو بالقدس :

قلب المحب بدار البين مشغول ... كما حشاه بنار البعد مشعول
وطرفه الليل ساه ساهر أرق ... ودمعه فوق صحن الخد مسبول

وله مما يقرأ على قافيتين :

قلت له لـما وفى موعدى ... وما بقلبى لسواه نفاق
وجاد بالوصـل على وجهه ... حبى سما كل حبيب وفاق

وله يطلب الإجازة فى سنة ٨٢٨ من الأستاذ العلامة أحمد ابن حجر الشهور المتوفى سنة ٨٥٢ :

وإذ عاقت الأيام عن لثم تربكم ... وَضنّ زمانى أن أفوز بطائل
كتبت إليكم مستجيزاً لعلّنى ... أبلّ اشتياقى منكم بالرسائل

ومن مؤلفاته التاريخ المسمى (نزهة النواظر فى روض المناظر) وهو تاريخ كبير جعله كالشرح لتاريخ أبيه المسمى (روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر) السابق . وله ــ كما فى فهرس الدار ــ كتاب (الدر المنتخب فى تاريخ مملـكة حلب) ضمنه تاريخ مدينة حلب وآثارها ومعاهدها ومعابدها وجوامعها ومدارسها وغير ذلك مما يتعلق بشؤون مملـكة حلب التاريخية والجغرافية ، وجعله ذيلاً على (بغية الطلب فى تاريخ حلب) . تأليف العلامة المؤرخ كمال الدين أبى حفص عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن أبى جرادة العقيلى المعروف بابن العديم الحلبى المولود سنة ٥٨٦ والمتوفى سنة

٦٦٠؛ وقد انتهى في تاريخه إلى سنة ٦٥٠؛ ومنه بدار الكتب ١٤ جزءاً متتابعة في ثلاثة مجلدات. وقد رتب المحب بن الشحنة تاريخه على تمهيد وفاتحة وخمسة وعشرين باباً. وقد طبع بمدينة بيروت سنة ١٩٠٩ م، وبدار الكتب الملكية نسخة منه قيمة رقم ٢٣٢٦ تاريخ، وأخرى رقم ٢٣٢٧. هذا وفي كشف الظنون في الكلام على (بغية الطلب في تاريخ حلب) لابن النديم ما يأتي:

والذيل عليه لأبي الحسن علي بن محمد بن سعد الحلبي الجبريني المعروف بابن خطيب الناصرية المتوفى سنة ٨٤٣، رتب الأعيان على الحروف وسماه (الدر المنتخب). ولما طالعه الحافظ بن حجر حين قدم حلب سنة ٨٣٦ ألحق به أشياء كثيرة ثمينة وأثنى على صاحبه. ثم ذيل عليه موفق الدين أبو ذر أحمد بن إبرهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة ٨٨٤ وسماه (كنوز الذهب في تاريخ حلب).

ولم يذكر في كشف الظنون أن ابن الشحنة ألف تاريخاً لحلب اسمه (الدر المنتخب) فلعله جمع هذه الذيول قبل وفاته سنة ٨٩٠ وتصرف فيها ونسبها لنفسه – والله أعلم – أو لعله ألف تاريخاً لحلب مستقلاً واستعار اسمه من اسم تاريخ خطيب الناصرية.

وقد يرجح هذا بما ذكره صاحب كشف الظنون في موضع آخر قال (كنوز الذهب في تاريخ حلب) لأبي ذر أحمد بن البرهان إبرهيم الحلبي المتوفى سنة ٨٨٤ ذيل به (الدر المنتخب في تراجم أعيان حلب). وأقول إذا علمت أن محب الدين بن الشحنة كان زوج السيدة خديجة بنت القاضي علاء الدين علي بن محمد بن سعد المتقدم المعروف بابن خطيب الناصرية مؤلف (الدر المنتخب) هان الخطب ووضح المشكل، على أنه يؤخذ من ترجمته الطويلة في الضوء اللامع أنه ألف تاريخين وذكر له عدة مؤلفات في علوم مختلفة.

(يتبع)

أحمد يوسف نجاتي
الأستاذ بكلية اللغة العربية

أحـــلام اليقظة

للدكتور محمـــد حسنى ولاية

قص علىّ صبى فى الرابعة عشرة من العمر الحلم الآتى :

« بينما كنت واقفاً فى غرفة الدراسة أجيب على سؤال وجهه إلىّ مدرسى ، اختفى عن ناظرى التلاميذ والمدرس وجميع ما فى الغرفة سوى (السبورة) ، وانقلبت أرض الغرفة الخشبية إلى أرض صحراوية ، ثم ما لبث أن أطل من خلف أعلى (السبورة) رجل ذو منظر مخيف ، عريض الوجه ، منبعج الأنف ، غريب الخلقة ، ذو مخالب كمخالب النمر ، مرتد ثوباً أخضر وقلنسوة خضراء ، ممسك بطفل صغير فى الثانية من العمر ، وقد ارتدى ثوباً أحمر وقلنسوة حمراء ، وكان الطفل كثير الشبه بالرجل ، ولكن أنفه لم يكن منبعجاً ، ولم تكن له مخالب

« وبعد برهة شطر الرجل الطفل الصغير شطرين بيديه القويتين ، فصحتُ من شدة الجزع بأعلى صوتى . . . ثم سمعت مدرسى يقول : « لا تخف » ؛ ثم أفقت ووجدتنى واقفاً أمام مدرسى كما كنت ، وعاد كل شىء إلى ما كان عليه . . . »

لاحظت أن الحالم يشبه أمه البلجيكية ، وأن أخاه البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً يشبه أباه المصرى ، وقد كان الأب شديد القسوة وكثيراً ما كان يضربه ضرباً مبرحاً ؛ أما أمه ، فكانت لينة القلب

أدى تحليل الحلم إلى استكشاف عقدة Complex فى عقل الصبى الباطن ، مؤسسة على نزعات ترمى إلى التخلص من أخيه الذى كان مريضاً بالحصبة عند ما كان فى الثانية من العمر ، وكان الحالم حينذاك فى الثالثة فألبس المريض رداء أحمر وقلنسوة حمراء ؛ وقد ظلت هذه العقدة محتبسة فى العقل الباطن منذ إحدى عشر سنة ، والسبب فى نشوء هذه العقدة هو العناية الفائقة التى وجهها الوالدان إلى الطفل المريض ، ومن ثم تشبثت بالحالم غيرة شديدة من أخيه

يمثل الرجل الوحشى أب الحالم ويرمز الطفل الصغير إلى أخيه ، وقد شوهت هيئة الأب والأخ فى الحلم بفعل الطاقة الكابتة : « الرقيب الحلمى » ؛ وكأن الصبى يقول لأبيه : « مزّق أخى بمالك من البطش والقوة ، وخلصنى منه ، ليخلو لى الجو ... »

قال لى الصبى إنه لا يكره أخاه ، ولكن نشأت بينهما حزازات ، لأن والده يدلل أخاه كثيراً ويغضى عن هفواته ، وقد استغل أخوه هذا التحيز من جانب الأب ، فلجأ إلى ضربه وسلب الحلوى والنقود منه ، فهو فى عرفه صورة مصغرة من أبيه

وقد قص علىّ الصبى حلماً ليليًّا يدل على مبلغ استقرار نزعة التخلص من أخيه فى سريرته :

«رأى منذ عهد قريب صبيًّا فى عمر وهيئة أخيه يقود طائرة ، ثم وقفتْ الطائرة فى الهواء بجوار نافذة منزله ، فاستقلها كراكب فأطلق قائد الطائرة العنان لطائرته ، ولكنه بعد مضى زمن قليل أصابته رصاصة لم يعرف مصدرها فصرعته ، فما كان من الحالم إلا أن حل محله وقاد الطائرة بنفسه »

يعنى هذا الحلم أنه يريد التخلص من أخيه الذى كانت له الكلمة النافذة والسلطة والقيادة فى محيط العائلة

ورأى فى حلم ليلى آخر أنه يسير فى أرض صحراوية انبعثت صخرة من الأرض ومنعته من استئناف المسير ؛ وترمز الصخرة هنا إلى أخيه ، لأنه واقف له بالمرصاد

محمد حسنى ولاية

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١/٢١ سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٦٧٦ سنة ٩٤١ ضد حبشى محمود سليمان بياع غاز بشارع أبو عبد الله بدمنهور بالحبس شهراً مع الشغل والنفاذ والنشر على مصاريفه لبيعه غازاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

٤ ـ ابن خُرْدَاذبه

للأستاذ كوركيس عواد

(تتمة)

٦ – الخصومة بين ابن خرداذبة وأبي الفرج الأصفهاني

(ا) تمهيد

كان الأستاذ كامل كيلاني قد أحسن غاية الإحسان بنشره بحوثاً طليّة فى وصف بعض « الخصومات » أو « المناظرات » الأدبية القديمة[1] التى دارت رحاها بين طائفة من أكابر العلماء ، وكان لها شأن فى توجيه الرأى الأدبي فى تلك الأزمنة الغابرة . وما من شك فى أن هاتيك الخصومات تمثل لنا لوناً من ألوان الثقافة ، وتكشف عن منحى من مناحى المجتمع ، كما أنها توضح لنا بأجلى بيان ما كان يضطرم أحياناً فى نفوس بعض الأدباء من حبٍّ للتنافس ، وميل إلى الظهور والتصدُّر ، وانسياق لعوامل الحقد والضغينة ؛ وتفصح لنا عما كانت تنطوى عليه أخلاق بعضهم من كبر أو مكابرة ، وعنت أو دهاء ... ومهما يكن من أمر ، فإن تلك الخصومات صفحة أدبية رائعة الجمال ، إذ شحذ مسطّروها أذهانهم لإحراز الفوز ، وأفرغوا ما فى وسعهم من الأدلة والبينات التى كانت تتجاوب أصداؤها بينهم ، وتتدافع تدافع السيل العرم ، لتنال مكانها من الظفر !

ولقد وقفنا على شيء يقرب من ذلك ، تشب بين اثنين من أشهر الكتبة الأقدمين ، وهما ابن خرداذبة وأبو الفرج الأصفهاني . وإذا تكلّمنا على الأول منهما بما مرَّ بك تفصيله ، فلنقل كلمةً وجيزة نمهد بها موقفه من الخصومة ، فنقول :

(ب) أبو الفرج الأصفهاني

إن شهرة أبى الفرج البعيدة ، تغنى عن التعريف به . وكتابه العظيم الموسوم بـ « الأغانى » الذى سلخ فى جمعه وتأليفه على ما قال خمسين سنة ، لمن أعظم الكنوز الأدبية قيمة ، وأحفلها مادة ! وكفاه من سمو المنزلة ومزيد الاعتبار أن الصاحب بن عباد — وهو من هو — « كان في أسفاره وتنقلاته يستصحب حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب ليطالعها ، فلما وصل إليه كتاب الأغانى لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه لاستغنائه به عنها ! »[1]

وكان الصاحب هذا يقول : « لقد اشتملت خزانتى على مائتين وستة آلاف مجلد[2] ، ما منها ما هو سميرى غيره (أى غير كتاب الأغانى) ولا راقنى منها سواه ... »[3]

وكان عضد الدولة « لا يفارقه فى سفره ولا حضره ، ولقد كان جليسه الذى يأنس به ، وخدنه الذى يرتاح إليه »[4]

ولأبى الفرج كتب عديدة أخرى ذكرها مترجموه ورواة أخباره . ضاع أغلبها ، ففاتنا بضياعها من الخسارة بما لا يمكن التعويض عنه !

ولسنا فى مقام التبسط فى ذكر ترجمته ، فذاك أمر معروف مشهور ، وإنما اكتفينا بالتنويه بكتابه الأغانى ، لما له من الخطر فى الخصومة التى أشرنا إليها . أما من أراد الوقوف على أخبار أبى الفرج ، فعليه بها مفصلة فى « تصدير » المجلد الأول من الأغانى المطبوع فى دار الكتب المصرية . ففيها كل الغناء

وما لابد من النص عليه ، هو أن أبا الفرج توفى فى أواسط المائة الرابعة للهجرة (أى فى سنة ٣٥٦ للهجرة) ، وهى المائة التى ازدهر فيها الأدب العربى ، واستقام أمره ، واتسعت مادته

(ج) الخصومة

والخصومة التى سنذكرها ، تختلف عن كثير من الخصومات لأنها جرت بين شخصين باعد بينهما الزمن ! فقد ذكرنا من قبل أن ابن خرداذبة نادم المعتمد الخليفة العباسى ، وخص به ، وكانت وفاة المعتمد فى سنة ٢٧٩ هـ . فيكون ابن خرداذبة من أبناء المائة

(١) أنظر « المقتطف » فى أجزاء متفرقة من سنة ١٩٢٩ و ١٩٣٠ و ١٩٣١ : حيث أورد هنالك أخبار ست مناظرات جرت بين الهمذانى والخوارزمى ، وبين الكسائى وسيبويه ، وبين المتنبي وأبى فراس ، وبين المتنبي وابن خالويه ، وبين المتنبي والحاتمي ، وبين المعرى وداعى الدعاة . ونظن أن هذه المناظرات جمعت فى كتاب قائم بنفسه

(١) وفيات الأعيان (١ : ٤٧٥)

(٢) جاء فى « مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى » لابن منظور (١ : ٢) قول الصاحب : « ولقد اشتملت خزانتى على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد . . » وهي رواية تختلف عن التى أوردناها . ولعل هذه الرواية أقرب إلى الحق وإن كان يرى فيها أيضاً مبالغة

(٣) معجم الأدباء (٥ : ١٠٠ مرجليوث)

(٤) مختار الأغانى (١ : ٣)

الثالثة للهجرة ، ولعله تعداها فعاش بعض السنين من المائة الرابعة

أما أبو الفرج الأصفهانى ، فقد وُلِدَ سنة ٢٨٤ ومات سنة ٣٥٦ للهجرة . فهل يكون قد أدرك فى أوائل شبابه شيخوخة ابن خرداذبة ؟ وهل يكون قد حصل بينه وبينه تنافر وتباغض أدّى بأبى الفرج إلى أن يقف موقفه المريب بإزاء زميله على ما سنوضحه ؟

فإذا طالعت كتاب « الأغانى » لأبى الفرج ، ألفيته يذكر ابن خرداذبة فى مواطن عديدة منه ، ويستشهد بأقواله ولكنه لا يذكره إلا ليثلبه ، ويحط منقدره ، ويجرده من كل حسنة سواء أكان لذلك كله موجب أم لم يكن ! وهو لا يروى قولاً من أقواله إلا ليردّ عليه ويضعّفه ويتعمد تزييفه ! فهو على ما يبدو ظاهر التحامل . على أننا لا ندرى ما مبلغ الصحة فى ما حكاه عن ابن خرداذبة ، ولا الدواعى الحقيقية التى حملته على أن يشدّد النكير على صاحبه ، لأن مؤلفات ابن خرداذبة التى ندد بها وانتقد أقوالاً منها قد ضاعت بأجمعها ! ولهذا ، نرانا فى هذه الخصومة سنمضى — على الرغم منّا — إلى شهادة جانب واحد ! وللتاريخ أن يحكم على صحة هذه الشهادة ، ولعل الأيام تكشف لنا مصنفات ابن خرداذبة ، فنعود نستمع إلى أقوالها ، وقد ينجلى الأمر إذ ذاك وتتضح الحقيقة !

وإليك أقوال أبى الفرج فى خصمه ، استخلصناها من أماكن مختلفة من كتاب الأغانى :

قال فى (٥ : ٣ من طبعة الساسى ، أو ٥ : ١٥٦ من طبعة دار الكتب المصريه)[1] ما هذا بحرفه :

« وذكر ابن خرداذبة ، وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمنه كتبه ، أن سبب نسبته (أى نسبة إبراهيم الموصلى) إلى الوصل ، أنه كان إذا سكر كثيراً ما يغنى على سبيل الولَع :

أناجت من طرق مَوْصل أحمل قلـــل خمْريَا
من شارب الملوك فلا بُدَّ من سُكْريَا

وما سمعت بهذه الحكاية إلا عنه ؛ وإنما ذكرتها على غثاثتها لشهرتها عند الناس ، وأنها عندهم كالصحيح من الرواية فى نسبة ابراهيم إلى الموصل ، فذكرته دالاً على عواره » اهـ .

وقال فى (١ : ١٨ س ، أو ١ : ٣٦ د) :

« وذكر ابن خرداذبة أنه (الكلام على معبد المغنى) غنّى فى أول دولة بنى أمية وأدرك دولة بنى العباس وقد أصابه الفالج وارتعش وبطل ، فكان إذا غنى يُضحك منه ويُهزأ به . وابن خرداذبة قليل التصحيح لما يرويه ويضمنه كتبه . والصحيح أن معبداً مات فى أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده . وقد قيل : إنه أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطل صوته . فأما إدراكه دولة بنى العباس فلم يروه أحد سوى ابن خرداذبة ، ولا قاله ولا رواه عن أحد وإنما جاء به مجازفة » اهـ .

ونظير ذلك قوله فى (٦ : ١٥ س ، أو ٦ : ١٧٣ د) :

« وذكر ابن خرداذبة ، أنه [يقصد يحيى المكىّ] مولى خُزاعة . وليس قوله مما يُحصل ، لأنه لا يعتمد فيه على رواية ولا دراية » ! ومثله قوله (١٣ : ١٥٤ س) :

« وزعم ابن خرداذبه ، أن الصنعة فيه [فى بيتين من الشعر أوردهما الأصفهانى] ليزيد[1] وليس كما ذكر ، وإنما أراد أن يوالى بين الخلفاء فى الصنعة ، فذكره على غير تحصيل ، والصحيح أنه لعبد ... »

وشبيه به ما رواه فى (١٠ : ١١٥ س) :

« وذكر ابن خرداذبه ، وهو ممن لا يحصل قوله ولا يعتمد عليه ، أنه [أى عَلّويه المغنى] من أهل يثرب ، مولى بنى أمية »

أو ما قاله فى (٨ : ١٥٦ س ، أو ٩ : ٢٧٦ د) :

« وممن دونت صنعته من خلفاء بنى العباس ، الواثق بالله ، ولم نعلمه حُكى ذلك عن أحد منهم قبله ، إلا ما قدمنا سوء العهدة فيه عن ابن خرداذبه ، فإنه حكى أن للسفاح والمنصور وسائرهم غناء ، وأتى فيها بأشياء غثة ، لا يحسن لمحصل ذكرها » !

ومما يتصل بها المعنى ، ما حكاه أبو الفرج فى (٨ : ١٤٤س أو ٩ : ٢٥٠ د) :

« قال مؤلف هذا الكتاب : المنسوب إلى الخلفاء من الأغانى والملصق بهم منهـا ، لا أصل لجله ولا حقيقة لأكثره ، لا سيا

(١) نرمز إلى طبعة الساسى بحرف (س) وإلى طبعة دار الكتب بحرف (د)

(١) هو يزيد الثانى ابن عبد الملك الأموى ، كانت خلافته من سنة ١٠١ إلى ١٠٥ هـ

ما حكاه ابن خرداذبة ، فإنه بدأ بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فذكر أنه تغنى فى هذا البيت :

كأنَّ راكبها غصنٌ بمَرْوَحَة

ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد ، حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لا بدّ منه ولا معدلَ عنه ، يخبط (يعنى ابن خرداذبة) خبطَ العشواء ويجمع جمع حاطب الليل ... ! »

أو ما سطره فى (١٣ : ١١٠ س) :

« وذكر ابن خرداذبة ، أن المهدى اشتراها (اشترى الجارية بصبص) وهو ولى العهد ، سراً من أبيه ، بسبعة عشر ألف دينار ، فولدت منه عُلَيّة بنت المهدى . وذكر غير ابن خرداذبة ، أنه غلط فى هذا ، وإن الذى صح ، أن المهدى اشترى بهذه الجملة جارية غيرها وولدت عُلَيّة ... »

* * *

فهذه ، على ما رأيتَ ، آراء صريحة ، طعن فيها أبو الفرج بصاحبه ، وضعّف مرويّاته . وليس بوسعنا أن نبدى فيها رأياً للسبب الذى قدمناه فى محل آخر من هذا المقال . ونضيف الآن إلى ذلك ، أن عشرات الكتب فى الغناء والمنادمة والشراب وما اتصل بهذه الموضوعات من قريب أو بعيد ، مما صنفه أقدم الكتبة كاسحق الموصلى ، ويحيى بن أبى منصور الموصلى ، وعبد الله بن هارون ، ويونس الكاتب ، وعمر بن بانة ، وحسن ابن موسى النصيبى ، وأبى حشيشة الطنبورىّ ، وجحظة ، وأبى أيوب المدينى ، وغيرهم ، كل تلك الأسفار قد ضاعت وامّحى أثرها ، ولم يبق لنا منها سوى أسمائها الجليلة التى حفظها لنا ابن النديم وغيره فى تصانيفهم

هذا ، وقد ذكر أبو الفرج زميله فى أماكن أخرى من أغانيه ، ونقل عنه أخباراً ومرويات لا فائدة من إيرادها هنا . غير أنه فى بعض نقوله كان يمر به دون ما تجريح ، ذلك إذا راعى جانب الهدوء والاعتدال فى القول ، وإلا ، فلا أقل من أن يتوّج ما ينقله عنه بعبارة « وزعم ابن خرداذبه »[1] ، ولا يخفى على اللبيب ، ما تنطوى عليه لفظة « زعم » !

(١) كما فى (٦ : ١٦١ ، ٣ و ٨ : ٢٢ س د) من الأغانى

فهل كان أبو الفرج فى مواقفه النقدية يتعمد الإساءة إلى أقرانه ومعاصريه ممن ألّف فى موضوع الأغانى وما إليها ؟ أم إنه كان على حق فيما فند وزيّف ، وقد وقفنا على رأى له فى كتاب من هذا القبيل ، ننقله إلى القارئ ، لما فيه من مغزى أدبى ، قال :

« وذكره جحظة [الكلام هنا على أحمد النَّصِيبىّ المغنىّ الطنبورى] فى كتاب الطنبوريين ، فأتى من ذكره بشىء ليس من جنس أخباره ولا زمانه ، وثلبه فيما ذكره ، وكان مذهبُهُ — عفا الله عنا وعنه — فى هذا الكتاب ، أن يَثْلِبَ جميع من ذكره من أهل صناعته بأقبح ما قَدَر عليه ، وكان يجب عليه ضد هذا ، لأن من انتسب إلى صناعة ، ثم ذكر متقدمى أهلها ، كان الأجمل به أن يذكر محاسن أخبارهم وظريف قصصهم ومليح ماعرفه منهم ، لا أن يثلبهم بما لا يعلم وما يعلم . فكان فيما قرأت عليه من هذا الكتاب أخبار أحمد النصبى ، وبه صدّر كتابه فقال : »[1]

وحسب القارئ أن يسأل لماذا حمل أبو الفرج على جحظة فى موقفه من أحمد النَّصِيبى ؟ وندد به لأنه ثلب من تقدمه ، وهو نفسه لم يطبق هذا المبدأ فى موقفه من ابن خرداذبة على ما مر بنا

٧ — ختام البحث

رأى القارئ فى تضاعيف هذا المقال أن ابن خرداذبة كان إلى جانب مركزه الاجتماعى مؤلفاً فى ميادين الكتابة المختلفة ، فقد صنف فى التاريخ والبلدان والأنواء والأنساب والموسيقى والمنادمة والشراب وغير ذلك ... وأن الكتبة انقسموا بشأنه فريقين : له وعليه . فأفراد الفريق الأول وعلى رأسهم المسعودى مدحوه ، وقرظوا كتبه ؛ والفريق الثانى ، وعلى رأسهم الأصفهانى حملوا عليه حملة شعواء فأوسعوه نقداً وتجريحاً

ومن العسير علينا أن نبدى رأياً أو نقول قولاً فى هذا الموقف الذى ينقض أوله آخره ، ونحن فى وقت نتلمس فيه تآليف ابن خرداذبة التى دارت عليها رحى الخصومة ، فلا نجد منها شيئاً ما ، كما أننا لا نجد أغلب الكتب التى تناظرها فى البحث لنتحقق صحة ما قيل فيها ، وقد يتاح حينذاك الحكم لها أو عليها !

(بغداد) **كوركيس عواد**

(١) الأغانى (٥ : ١٥٣ س ، أو ٦ : ٦٣ د)

الهـــند ...

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

هى الدرة اليتيمة فى التاج البريطانى ! من أجلها حقدت الدول على بريطانيا ، وبسببها تحملت انجلترا الكثير من الشدائد ونزلت بساحتها الكوارث . إليها رنت أبصار الفرنسيين ، وهفت قلوب الألمان، وداعب طيفها اليابان . وها هى ذى اليوم تستعد للهجوم، وتتحفز للوثوب على الهند .

لقد داعب نابليون طيف الهند ! اشتد العداء بين فرنسا وانجلترا ، ورأى نابليون أن خير طريق لقهر انجلترا هو غزوها فى بلادها « وإرغامها على إملاء شروط الصلح فى لندن » !

حينذاك يسجد العالم أمام نابليون ، وتحت أقدام فرنسا والفرنسيين ! ولكن دراسة هذا المشروع ردت نابليون إلى صوابه فعلم أن غزو انجلترا ضرب من الأوهام والأحلام . إذن أين يوجه الطعنة القاتلة إلى بريطانيا ؟ هداه تفكيره إلى أن خير طريق للوصول إلى هذه الغاية إنما يكون بالاستيلاء على مستعمراتها وبخاصة الهند ، وكيف يكون ذلك ؟ إن ذلك يمكن أن يتحقق إذا تمكن من غزو مصر ، فمن مصر يمكن السير براً إلى الهند . ألم يفعل ذلك الاسكندر المقدونى أكبر قواد العصور القديمة ؟ لم لا يفعل نابليون بونابرت أكبر قواد العصور الحديثة ؟ وعبارة نابليون « لضرب انجلترا يجب أن نكون سادة مصر » مشهورة معروفة ، وفى نفس المعنى قال تاليران : « عن طريق مصر نصل إلى الهند » . وتنفيذاً لهذه الخطة قدم نابليون بحملته المشهورة إلى مصر فى أول يوليو سنة ١٧٩٨ ، وبقى بها سنة وبضعة أشهر ، ورأى بعينى رأسه آماله تنهار ومشروعه يفشل ، وتحت جنح الليل البهيم غادر مصر فى ٢٢ أغسطس سنة ١٧٩٩ وبعد قليل لحق به جيشه ؛ وهكذا فشلت الحملة ولم يستطع نابليون الوصول إلى الهند .

ومن أجل الهند وحرصاً عليها خرجت بريطانيا على صداقتها التقليدية للروسيا وناصبتها العداء طوال القرن التاسع عشر لأنها رأت فى مطامع روسيا وفى توسعها فى آسيا خطراً على الهند ، ولكن الخطر الألمانى وحد بين صفوف البريطانيين والفرنسيين والروسيين . ومن أجل الهند والمستعمرات البريطانية الأخرى ناصبت ألمانيا انجلترا العداء . وقد فزعت انجلترا من تقدم الألمان نحو القوقاز فى الصيف الماضى وسارعت إلى احتلال إيران ، وكل ذلك لتأمين الهند .

والهند تجذب أنظار العالم اليوم لعاملين :

١ — اقتراب الخطر اليابانى منها .

٢ — ذهاب السير ستافورد كريبس إليها لحل مشاكلها المتعددة ووضع نظام جديد لحكمها .

مشاكل الهند

ليس هناك دولة فى العالم تحاكى الهند من حيث كثرة مشاكلها وتعددها وصعوبة حلها ، فهى من ناحية من أغنى بلاد العالم ، ومن ناحية أخرى من أكثر جهاته ازدحاماً بالسكان . ومع هذا فإن حكمها ليس بالأمر اليسير الهين ، وذلك لتباين دياناتها واختلاف عناصرها وكثرة لغات أبنائها وكراهية طوائفها بعضها لبعض كراهية شديدة

يبلغ عدد سكان الهند ٣٢٠ مليون نسمة ، ومساحتها مليوناً ونصف مليون ميلاً مربعاً ، أو قدر نصف مساحة أوربا . على أن بريطانيا لا تهتم بالهند حباً فى حكمها ، ولكن لأنها سوق عظيمة لمصنوعاتها ومورد هام للمواد الخام . وقد كانت صادرات بريطانيا إلى الهند فى كثير من السنين أعظم من صادراتها إلى أى دولة أخرى . وقد بدأت الهند تدخل فى الدور الصناعى وقد جاء هذا الدور على يد البريطانيين وتحت إشرافهم

ومشكلة الهند أمام انجلترا تنحصر فى أمرين : الإشراف على سكانها البالغ عددهم ٣٢٠ مليوناً ، وترقية التجارة البريطانية مع الاحتفاظ بالسلام . وليس من السهل حكم دولة معقدة كالهند

ذلك لأن التباين بين سكانها عظيم بدرجة يستحيل معها تحقيق أي وحدة حقيقية بين أجزائها ، فلكل إقليم من أقاليمها ولكل دين من أديانها وطائفة من طوائفها أفكارها ومعتقداتها ، ويتكلم سكانها ١٧٠ لغة ، وتنقسم إلى ٢٤٠٠ طائفة . ومن أبنائها ٢١٧ مليوناً من الهندوكيين و٦٠ مليوناً من المنبوذين ، وهؤلاء هم أحط سكانها ، وهم محرومون من الحقوق المدنية ؛ والبراهمة وعددهم ١٤ مليوناً ، والمسلمون وعددهم ٦٦ مليوناً

وبالهند سبعمائة مقاطعة تحقد الواحدة منها على الأخرى وتملك خمسي أرضها ؛ وعدد سكانها ٧٥ مليوناً ، وأكبر مقاطعاتها حيدرأباد وسكانها ١٣،٠٠٠،٠٠٠ نسمة . وبعض هذه الولايات قديمة التاريخ ، وبعضها حديثه

على أن البريطانيين حين قدموا الهند عقدوا معاهدات مع كثير منها وضمنوا لها استقلالها الذاتي وأقروا حكامها ، وقد احترمت هذه المعاهدات حتى الوقت الحاضر . وهؤلاء الحكام ليسوا مستقلين ولكن يخضعون لجلالة ملك بريطانيا وإمبراطور الهند ولنائبه الحاكم العام

والهند ما تزال أمة زراعية وأهم محصولاتها القمح والقطن ، وتعتمد الزراعة في كثير من جهاتها على الري ومعظم أمطارها موسمية ؛ وهي في البنغال وأسام وبرما فقط تكفي للزراعة . أما في باقي الأجزاء فتختلف الأمطار من عام لعام مما عرض الهند لكثير من المجاعات التي كانت تقضي على الملايين من أبنائها . وقد خفف التقدم الحديث في وسائل النقل من وطأة هذه المجاعات . وتعنى حكومة الهند الآن بمشروعات الري وبواسطتها استطاعت أن تزرع ٣٠،٠٠٠،٠٠٠ فداناً

ويتزايد عدد سكان الهند عاما بعد عام (٥٠ مليوناً في السنين الأخيرة) ولكن عدد المهاجرين من أبنائها ما زال قليلاً ، ولذلك يتعذر على الكثير من أبنائها الحصول على طعامهم ، ويضطر الكثيرون منهم إلى الاستدانة على المحصول الجديد قبل نضجه

موقف بريطانيا

ليست مشاكل الهند الاجتماعية والاقتصادية من خلق بريطانيا ومع هذا يلقي الهنود تبعتها دائماً على بريطانيا ويطلبون منها حلها واشتراك أبنائها في حكم بلادهم . وقد منحت بريطانيا الهنود كثيراً من السلطة الإدارية المحلية عقب الحرب الماضية إرضاء لهم ، فتركت لثمان من ولاياتها الكبيرة شئونهم الداخلية الخاصة بالتعليم والزراعة والصناعة والصحة والأعمال العامة ، وعينت كثيرين من أبنائها حكاماً لولاياتهم ، وأشركتهم في المجالس التشريعية ، وأنشأت مجلساً للدولة يرأسه الحاكم العام وعدد أعضائه ستون : منهم ١٦ من الهندوكيين و ١١ من المسلمين و ٣ من السيخ و ٣ من الأوربيين والباقي من موظفي حكومة الهند البريطانيين ، وجمعية تشريعية يرأسها كذلك الحاكم العام وعدد أعضائها ١٤٠ منهم ١٠٠ منتخبين ، ولكن حرمت هذه الجميات من بعض الحقوق الهامة فلا تسرى قراراتها المتعلقة بالدين العام وبقوات الدفاع وبالسياسة الخارجية بدون موافقة الحاكم العام

وقد شعر كثير من الهنود أن الحقوق التي نقلت إليهم قليلة الأهمية وبذلك طلبوا من بريطانيا أن تمنحهم الحكم الذاتي وغلا بعضهم فطلب الاستقلال . على أن أي حل لا يرضى مختلف الطوائف سيكون نصيبه الفشل . ويجب أن تنتبه بريطانيا إلى مطالب المسلمين بصفة خاصة وذلك بالنسبة لعظيم عددهم وشدة تمسكهم بمطالبهم .

وقد طار إلى الهند أخيراً السير « سترافورد كريبس » ليحاول حل القضية الهندية « وإن ذهابه إليها دليل على أن حكومة بريطانيا وشعبها يعلمان بأن مطالبة الهند بأن تكون أمة قائمة على حق » . ونحن نتمنى له التوفيق في مهمته

أبو الفتوح عطيفة

دفين « لا كُرونيه »

للشاعر الأرلندى تشارلز وولف

بقلم الأستاذ محمود عزت عرفه

[لا كرونيه ميناء على الساحل الشمالى الغربى من أسبانيا ، ودفينها هو السير « جون مور » أحد كبار قواد الانجليز فى حرب شبه الجزيرة . وكان قد التقى بالفرنسيين عند هذا الموقع وهو يحاول الارتداد إلى الساحل يوم ١٦ يناير ١٨٠٩ م فانتصر عليهم وأوقف زحفهم . . . ولكنه أصيب بقذيفة من مدفع ، ومات متأثراً منها فى مساء اليوم نفسه . وقد احتفل الانجليز بتشييعه — فى منتصف الليل — احتفالا صامتاً مؤثراً ، ودفن تحت أسوار مدينة لا كرونيه . . .

أما تشارلز وولف صاحب هذه القصيدة فهو شاعر أرلندى عاش بين عامى ١٧٩١ و ١٨٢٣ م . ولم يعثر من شعره إلا على مقطوعات قليلة ؛ أهمها وأجودها جميعاً هذه القطعة التى كفلت — وحدها — لاسمه الشهرة والخلود]

مضينا بجثمانه إلى القبر حثيثاً ؛ فما دوَّى لطبلٍ صوت ، ولا ارتفع لترنيمةٍ صدى . . .

وأودعناه مقرَّه الأبدى فى سكينة وهدوء لم يعكرهما جندىٌّ بقذوف تحية ، أو طلقة وداع .

كان ذلك والليل مظلم الرقعة حالك الجلباب ؛ فما أضاءتْ لنا فيه إلا خيوط من شعاع القمر واهية ، وإلا أقباسٌ متضائلة من مصباحنا الخافت . . .

وقد أضجعناه بثوبه العسكرى الذى مات فيه ، فبدا كجندى يستجمّ بعد طول جهاد ؛ ولم نُردْ أن نوشح صدره أو نلفّ جثمانه فى هذه الأسمال البالية التى يسمونها الأكفان . . .

كانت صلاتنا عليه قصيرة ومقتضبة ، رتّلناها فى تأثر وإيمان ؛ أما كلمات الحسرة والألم المألوفةُ فى مثل هذا المقام ، فما فُهْنا منها بكلمة ! !

لقد تعلقت أعيننا فى سكون بهذا الوجه الشاحب ؛ بينا اتجهت بنا الأفكار إلى الغد المجهول فى مرارة وأسى .

كنا نفكر — ونحن نشق له لحده الضيق ونمهد له وساداً من التراب — فى العدوّ الذى سيطأ هذا الرفات الطاهرَ بقدميه ؛ والأجنبيّ الذى سيمرّ فوقه ثانىَ عِطفِه . . . بعد أن نصبح نحن بمنأى عنه فوق أثباج هذا الخضَم الجائش !

. . . سيتحدثون باستخفافٍ عن روحه الكريمة التى صعدت إلى بارئها ؛ وفوق رفاته الهامد سينبزونه بكلمات ملؤها السخرية والإفحاش ؛ ولكن عبثاً يحاولون تحريكه أو إقلاق سُباته فى هذا المضجع الذى سوّته له أيدينا بعناية ورفق .

فكَّرنا فى كل هذا . . . ثم أقبلنا نواصل العمل فى مهمتنا الشاقة المؤلمة ، حتى دقّ فجأة ناقوس الخطر مؤذناً بالانسحاب ؛ وسمعنا دوى المدافع التى راح العدوّ يصب قذائفها من مدىً شاسع . . . وعلى غير هدى . فأضجعناه فى أناةٍ وحَزَن ؛ ثم انصرفنا وقد أخلينا منه ساحةَ مجده التى ما زالت بدمه مخضوبة . . .

لم نخُطَّ على قبره حرفاً ؛ ولم نُقِمِ فوقه تذكاراً أو نرفعْ نصباً ؛ بل خلفناه فى مضجعه فريداً مستوحشاً . . . وهيهات أن ينفرد أو يستوحش من كان له المجد جليساً ، والخلود صاحباً وأنيساً !

(جرجا) **محمود عزت عرفه**

المنصـــورة ...

للدكتور إبراهيم ناجي

بأيِّ مُعجزةٍ فى الحبِّ نتَّفقُ ؟
يا قلبُ لا يتلاقى الفجرُ والغسقُ !
يا قلبُ إنَّا لقينا اليومَ جوهرةً
تـكادُ فى ظُلماتِ الليلِ تأتلقُ
ظللتُ أسألُ نفسى كيفَ تعشقُها
بقيَّةٌ من بقايا العمرِ تحترقُ ؟!
وا فيتُها وفلولُ النورِ دامِيةٌ   تطفو وترسُبُ أو تعلو فتعتلقُ
لمْ أدرِ حينَ تبدَّتْ لى إذا شفقى
أبصرتُهُ أمْ على المنصورةِ الشفقُ
يا منْ منحتِ الأمانى البيضَ مقدرةً
إنى بهذى الأمانى البيضِ أختنقُ
أينَ الهدوءُ المرجَّى فى جوانِبِها ؟
إنِّى رجعتُ وليلى كلُّهُ أرقُ
أقبلتُ أنشدُ أمنًا فى هواكِ بها
فلمْ أنلْ وتولَّى قلبيَ الفرقُ
لا بالقلوبِ ولا الأرواحِ يا أملى
إنَّا بشىءٍ وراءَ الروحِ نعتنقُ
ويحى على كفِّكِ البيضاءِ إذْ بُسطتْ
عندَ السلامِ وويحى حينَ تنطبقُ
هلْ يسمعُ النيلُ إذْ سرنا بجانبِهِ
والموجُ مجتمعٌ فيهِ ومفترقُ
صوتًا تماوجَ فى روحى فجاوبَهُ
منْ جانبِ القلبِ موجٌ راحَ يصطفقُ
تظلُّ تنهبُ أذنى منْ أطايبِهِ   كأنها من خفايا الغيبِ تسترقُ
يا جنَّةً منْ جنانِ اللهِ أعبدُها   لنْ تبعدى ولدىَّ السحرُ والعبقُ

ناجى

الشعاع الغـــريب !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

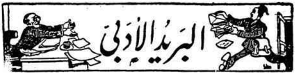
وما أنا إلاَّ شعاعٌ غريبٌ   تألَّقَ بينَ جفونِ الضَّبابْ
لهُ نفثةٌ منْ وراءِ السَّـديمِ   تثيرُ على الأرضِ حزنَ التُّرابْ
لهُ نشوةٌ فى الأسى والعذابِ   أما أىُّ خمرٍ بهذا العذابْ !
توهَّجَ حتَّى بكاهُ الرمادُ   وأغفى فجُنَّ عليهِ السَّحابْ
يلومونَ فيهِ اشتعالَ الضِّياءِ   وهلْ يملكُ النارَ قلبُ الشِّهابْ
تطلَّعَ إشراقُهُ للسَّماءِ   فأوشكَ أنْ يستشفَّ الحجابْ
وخانتهُ إيماءةٌ للثَّرى   فلمْ يلقَ إلاَّ الدُّجى والخرابْ
فظلَّ على نارِهِ والهًا   يُدمدمُ كالموجِ بينَ العُبابْ
حزينٌ وتضحكُ آهاتُهُ   شقىٌّ ويُغريهِ سحرُ الشَّبابْ
يعيشُ على الوهمِ فى عالَمٍ   يُجسِّدُ للطِّينِ وهمَ السَّرابْ !

* * *

أليلاى ماتَ بقلبى الرَّجاءُ   وأبلتْ حياتى الأمانى الكِذابْ
وتهتُ فلمْ أدرِ أنَّى التفتُّ   إلى أىِّ أفقٍ أسوقُ العتابْ !

محمود حسن إسماعيل

حكم فى القضية ن ١٢٥٠ عسكرية سنة ٩٤١ ضـد مبروكة ابرهيم عبده بغرامة ٢ جنيه والنشر بتاريخ ٢٦ نوفبر سنة ١٩٤١ وذلك لبيعها قمحاً بسعر أكثر من المحدد .



شعر لولى الدين يكن لم ينشر

تربطنى بأسرة فقيد الشعر والأدب ولى الدين يكن أواصر مودة وصداقة أثناء إقامتى الطويلة بحلوان معقل اليكنيين فى العهد الغابر ، وقد كتبتُ فى الرسالة سنة ١٩٣٨ عن نجله الشاعر المبدع فولاد يكن الذى لاقت أشعاره الفرنسية إعجاب أدباء فرنسا

وقد آلت إلىّ بعض مخطوطات الفقيد وفيها مقطوعات شعرية لم تنشر بديوانه نظمها وهو يعانى شدة الداء ، وكان يشكو من الربو ، وها هى القطع أنشرها خدمة للأدب :

— ١ —

عمرَ الشباب لقد مضيت محبَّبا ... وتركت لى عمراً سواك بغيضاً
أُعيى وتثبتنى الشقاوة كارها ... مثل الكتاب يكابد التبييضا
عُوِّدْتُ أمراضى وطول تألمى ... حتى كأنى قد ولدتُ مريضاً

— ٢ —

ترى ماذا وراءك من عجيب ... إذا فُتّحتَ ياباب المنون
مظاهرك السكون ولكن[1] ... أما وُلد الحراك من السكون
قد استعصى الرتاج على عقول ... وقد سُدّ الطريق على عيون
قصاراها الظنون فما أجزنا ... مُذِ الأعصارِ ساحات الظنون
وما فى دولة الأرواح روح ... دنت من عرش سلطان اليقين

— ٣ —

تحيرتُ كم أهفو وكم تتجنبُ ... وكم أرتضى بالصد منها وتغضبُ
وكم أتلهى بالأمانىّ دونها ... وكم أدّعيها لى هوًى وتكذّب
فهل لى ذنب يصغر العفو عنده ... أما إنه إن لم يكن فسأذنب
علامَ أظل الدهر أحمل هجرها ... تنعّم أيام النوى وأعذبُ
تنام وأبقى ساهراً كل ليلة ... وترتاح من حمل الهموم وأتعب
وتزداد أنساً حين أزداد وحشة
وتنضر فى روض الشباب وأشحب
لئن تك آلت أن تديم تجنباً ... فإنى سآلو أن يدوم التجنب
لها الخير ما يجزى بمثل ما[2] ... رأيت ولكن سوء حظى المسبب

(١) و (٢) كذا فى الأصل

— ٤ —

(للاتحاديين فى إحدى نوبات جنونهم)

إن تندموا ليس يفيد الندم
قد قضى الأمر وجف القلم
الله خلاّق الورى عادل ... فلا يلومن غيره من ظلم
يا أمة يقتلها جهلها ... جهلُك لا يُشبه جهل الأمم

كامل يوسف

سرقة أدبية

نشرت مجلة الثقافة فى العدد (١٧٠) مقالاً بعنوان « عذاب الكاتب » للأديب محمود محمود ... ، وقد قرأته فوقفت عند كل معنى من معانيه موقف المُتشكك المُتحير ، إذ شعرت تواً بأنى قرأت هذا الحوار منسوباً إلى غيره ، ثم ما لبثت أن أدركت أنه منقول بالنص من مسرحية « The seagull » للكاتب الروسى Anton Tchehov ، وقد ترجم ترجمة حرفية مع حذف بعض الجمل التى يقتضيها سياق المسرحية من الترجمة الإنجليزية المنشورة فى كتاب Three Plays by Anton Tchehov طبعة Penguin من صفحة ٨٣ إلى ٨٦ ، وليس للكاتب من المقال إلا بضعة أسطر قدم بها هذا الجزء المسروق وتحوير يسير فى الخاتمة يحمل نفس المعنى الأصلى

حسين محمد عبد الخالق

آثار من أولية الشعر

قرأت ما كتبه الأستاذ الفاضل عبد العظيم قناوى فى العدد (٤٥٥) من مجلة « الرسالة » الغراء تعقيباً على مقالى (آثار من أولية الشعر فى الشعر الجاهلى) فوجدته يرى أن اضطراب قصيدة عبيد فى عصر بلغ فيه الشعر آية الجودة لا يتخذ دليلاً على سنة النشوء والارتقاء ؛ مع أن وجود هذه القصيدة فى العصر الجاهلى كوجود الأعضاء الأثرية فى الإنسان الآن ؛ فإذا كانت هذه الأعضاء تتخذ دليلاً على سنة النشوء والارتقاء فى الإنسان مع بلوغه آية الجودة فى الخلق ، فكيف لا تتخذ هذه القصيدة فى الشعر الجاهلى دليلاً على سنة النشوء والارتقاء . ولا يمنع من ذلك بلوغه آية الجودة التى يذكرها الأستاذ ، وإن كان كثير من الباحثين يرى فيه كثيراً من النقص ، ويرى أن تقليد ذلك

النقص فيه هو السبب فى تأخر الشعر العربى الآن

وقد ذكر الأستاذ أن عبيداً لم يكن شاعراً بسليقته ، وأن اضطراب شعره يرجع إلى هذه الناحية فيه ، وهذا قد أشرت إليه فى مقالى حين جعلته من الشعراء المتخلفين فى عصرهم ، وهم الذين يتشبثون بآثار الماضى ، ولا يجارون شعراء الطليعة المجددين ولا يتأثرون بابتكارهم وتجديدهم

أما قياس قصيدة عبيد (أقفر من أهله ملحوب) على محاولات المبتدئين فى عصرنا فقياس غير ناهض ، لأن قصيدة عبيد معدودة من عيون الشعر العربى ، ولم يؤخذ عليها إلا اضطراب الوزن والقافية ، ولم يكن هذا إلا بعد أن استقر أمر الوزن فى الشعر ، وجرى على سنة مطردة لا يشذ أحد عنها . أما فى عصر عبيد فلم يؤخذ عليها شىء من ذلك ، بل كانت تعد فيه آية من آيات الشعر العربى ، وهذا يدل على أن مسألة الوزن لم يكن ينظر إليها فى هذا العصر كما نظر إليها بعد ، ولا يمكن تفسير ذلك إلا بقرب عهده من عصر كان الوزن لا يراعى فيه مراعاة دقيقة ، وكان الشعر فيه أشبه شىء بما نسميه الآن الشعر المنثور . ولعل الأستاذ قناوى يقتنع بعد هذا برأيى فى قصيدة عبيد

وقد ظهر رد آخر على رأيى فى قصيدة عبيد للأستاذ الفاضل محمود عزت عرفة فى العدد (٥٤٦) من مجلة الرسالة ، وهو ينظر إلى تلك القصيدة نظراً يختلف إلى حد بعيد عن الرد السابق ، فيبرئها من كل عيب ، ويرفع من شأن عبيد فى مغالاة ظاهرة ، مع أنى لم أطعن فى قصيدته إلا من جهة الوزن ، وهذا لا يحط قدرها من جهة اللفظ والمعنى ، وعيب الوزن فيها معروف لدى جمهور العلماء ، ولم يأت الأستاذ عرفة فى نقضه بشىء ، وقد ذكر أن بيت عبيد المختل الوزن صحته :

وقالوا هى الخمر تكنى الطلا   كما الذئب يكنى أبا جعده

ولكن هـذه الرواية غير متفق عليها ، ومن الجائز ان تكون محاولة من بعض الرواة لتصحيح وزن البيت ، على أن الأستاذ عرفة يكاد يتفق معى فى أن قصيدة عبيد يجوز أن تكون على وزن أو أوزان هجرتها العرب فى أواخر جاهليتها

ومما ألاحظه على كلا الردين أنهما لم يتعرضا لرأيى فى الإقواء ونحوه من عيوب القافية ، والأمر عندى لا يقف فى هذه الآثار عند الحد الذى ذكرت ، بل يتعداه الى ما حذفه الخليل عند تدوين العروض من الأوزان الشاذة ، فلا شك عندى فى أن هذه الأوزان كانت تمثل كثيراً من أولية الشعر ، وأنها لو وصلت إلينا لعلمنا منها ما له قيمة كبيرة عن حال هذه الأولية المجهولة

عبد المتعال الصعيدى

النهضة الأدبية فى السودان

من أبرز الأشياء التى تبدو للناظر فى نهضة السودان الحديثة وتتمثل أمام رواده وزواره هو شيوع الروح الأدبى وازدياد النشاط الفكرى ، ففى كثير من مدنه وعواصمه عدد من الجمعيات الأدبية يعنى عناية خاصة بدراسة الأدب العربى ومسايرة النهضة الفكرية فى العالم العربى المتوثب ، وتتبع حركته الأدبية ، واستعراض الآراء القديمة والحديثة فيها ، ثم بحثها واستخلاص نتائجها . لذلك لم يمض موسم من مواسم الأعياد الدينية إلا وتقام أسواق الأدب فى رحاب الأندية التى لم تخل إحداها من جمعية أدبية حتى الأندية الرياضية بجانب كل منها جمعية آداب . وفى « أم درمان » العاصمة الوطنية وكبرى مدن السودان يتجلى النشاط الأدبى فى أروع معانيه وأسمى روحه . و «نادى الخريجين» وهو أكبر أنديتها مسرح لملتقى الأقلام ومعرض لدراسات الآداب العربية ، وبه يقام المهرجان الأدبى السنوى العام تستعرض فيه صور من الإنتاج الأدبى فى خلال العام ، ويستخلص منه ما وصلت إليه العقلية السودانية من بحوث . وقد اشترك فيه بعض كبار الأدباء المصريين فى دورته الأخيرة منهم من اشترك بنفسه ومنهم من اشترك بقلمه ، فأدوا بذلك واجب مصر الأدبى نحو السودان، وما ثقافة السودان إلا قبس من الثقافة المصرية ، وما أدب السودان إلا صورة من الأدب المصرى .

يقتنص نادى الخريجين كل فرصة ليقيم فيها سوقاً أدبية ، والأعياد الدينية هى أهم المواسم لديه ، ففى عيد الأضحى يجتمع المؤتمر السودانى العام لبحث مختلف الشؤون السودانية ؛ وفى مقدمة بحوثه الناحية الأدبية . وفى عيد الهجرة الاجتماع الأكبر لجمع أموال التعليم الأهلى وتوجيهاته ، وهو سوق عظيمة للأدب لما يقال فيه من شعر ونثر . وفى عيد الميلاد النبوى يقام

مهرجان كبير لهذه المناسبة يتبارى فيه الخطباء والشعراء بما تجود به قرائحهم وما يجيش فى صدورهم . وفى عيد الفطر يقام المهرجان الأدبى السنوى العام الذى تقدم ذكره وهو أشبه بسوق عكاظ . وقد كان منتظراً أن يحضره الأستاذ الزيات ، والدكتور زكى مبارك ، والدكتور عبد الوهاب عزام ، وفاء بما وعدوا به لجنة المهرجان فى دورته الأخيرة ، ولكن جدت ظروف خاصة حالت دون حضور هؤلاء الأعلام الذين لهم منزلة عظمى فى قلوب الشباب السودانى المثقف ، فلعل الفرص تسنح لهم ولغيرهم من الأدباء بحضوره

وتعتبر مجلة « الرسالة » من أكبر المصادر الموجهة للشباب السودانى فى الناحية الأدبية ، وهى واسعة الانتشار يقتنيها كل مثقف ، ولصاحبها مكان رفيع فى المجتمع السودانى وهو لا يدرك مقدار ما يحمله له الشباب السودانى من حب وولاء ، وما يحفظونه له من إجلال وإكبار ، إلا بعد أن يشرف السودان فيرى ويسمع ذلك نفسه

عبد الرحمن الصالح

أذاعوا به

كتب إلىّ الأديب محي الدين مسلاتى من حلب ما يلى :

« جلست إلى المذياع أستمع حديثكم القيم من محطة القدس وقد استرعى انتباهى من ذلك قولكم : « وبلغتهم دعوة صاحب (الرسالة) — فأذاعو بهـا — وتناقلوها بينهم سراعاً ... » ؛ وإن ما أعلمه أن يقال : « أذاعوها » لا « أذاعوا بها » ؛ فهل لأستاذى الكريم أن يتفضل فيبين ما يستند إليه فى هذه الصيغة »

وجوابى : أنه ليس هنالك فيصل يحتكم إليه الناس فيما استغلق عليهم من أمر هذه اللغة أصدق من كتاب الله تعالى ، وفيه يقول :

(وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف « أذاعوا به »)

(شرق الأردن) **محمد سليم رشدان**

١ — تزوج منها خطأ

تكرر فى قصة « المقاقير المخدرة » : (العدد ٤٤٧) استعمال « تتزوج منه ، والزواج منه ، وأتزوج منكَ » وهو خطأ ؛ قال فى « المصباح المنير » : زوجت فلاناً امرأة — يتعدى بنفسه إلى اثنين — فتزوجها ؛ قال الأخفش : ويجوز زيادة الباء فيقال : « زوجته بامرأة » ؛ وقد نقلوا أن أزد شنوءة تعديه بالباء ؛ وقول الفقهاء : « زوجته منها لا وجه له » ؛ وفى نسخة من التهذيب : « زوجت المرأة الرجل » ؛ ولا يقال : « زوجتها منه »

٢ نصب الراية

قال الأستاذ كوركيس عواد فى العدد (٤٥١) : « نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية للزيلعى — نشرته مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن فى الهنـد » . والناشر هو المجلس العلمى بداهبيل فى الهنـد ، وطبع فى القاهرة فى ٤ مجلدات ، وفى صدره مقدمة ضافية للأستاذ الشيخ محمد زاهد الكوثرى

محمد أبو البهاء



الحـــــزن

قصة من القصص الشعبي لسكان جزيرة بورنيو

مترجمة عن الانجليزية

بقلم الأستاذ ابراهيم عبد الحميد زكى

عند ما أراد الروح الأعظم بفضله وكرمه أن يجعل الإنسان على الأرض، ويخلقه على صورته التف حوله الملائكة فى غبطة وسرور ، وتوسل إليه كل منهم أن يجعل له نصيباً فى هذا العمل الجليل . فسر الروح الأعظم لهذا الحب والإخلاص كل السرور وحقق لهم ما يرغبون

ثم حدث ذات يوم أن عم الحبور أرجاء الكون ، وتجاوبت أنحاؤه بأصوات الموسيقى؛ وغنت الملائكة أغنيات الفرح وترددت النغمات العذبة فى كل مكان : فى الأنهار والأشجار والأزهار ، وكيف لا يحدث ذلك وقد شاءت إرادة الروح الأعظم فى هذا اليوم أن ينفخ نسمة الحياة وروح الخلود فى قطعة الطين التى اشتركت الملائكة فى صنعها على صورته

على أن ملاكاً واحداً — وهو ملاك الحزن — لم يشترك فى هذا العمل المجيد ولم يكن له فى السرور نصيب . ذلك لأنه قضى أيامه كلها يبكى حسرات على مياه الأمطار التى كانت تتساقط دواماً فى البحار . فلما نظر الروح الأعظم إليه وجده غارقاً فى دموعه ، فأراد أن يخفف عنه فقال له : لا تبك ! إن كنت تود أن يكون لك نصيب فيما خلقت فسأمنحك ذلك . لقد تأخرت قليلاً وها هو ذا الإنسان قد تم خلقه وتكوينه ، ولا يمكن أن نرجع فى هـذا ، ولكن انظر ! إنه ما زال غضاً طرياً ؛ فتقدم واجلس إليه ، وكن حارساً عليه ، وامنع عنه كل ما يشوهه ، أو ينقص من كمال صنعه

فابتسم ملاك الحزن لهذا الفضل العظيم ، إذ أى فضل أعظم من رعاية هذا الصنع الجميل ووقايته من كل شر وتشويه

وجلس الملاك إلى جانب الطين اللين وقد عرض لأشعة الماتاهارى (عين النهار أى الشمس) ليمتص منها حرارة الحياة ودفئها وأخذ يرقبه فى عناية وحذر خشية أن يحدث له ما يؤذيه

ومر الزمن فأحس ملاك الحزن بالوحشة وآلمته الوحدة فراح يحدث نفسه على هذا النمط : لم يعاملنى الروح الأعظم على كل حال معاملة عادلة . لماذا لم ينتظر عودتى قبل تكوين الإنسان وخلقه ؟ وأى فخر وأى مجد يعود على من الجلوس هنا أرقب شيئاً قد تم صنعه وكمل تكوينه ؟ وهل يوازن هذا بالاشتراك الفعلى فيه كما اشترك إخوانى الملائكة الآخرون ؟ ؟

واختفت حينئذ البسمة التى علت وجهه من قبل ، ووضع وجهه بين كفيه ، وانهمرت دموعه على خديه ، ونسى بذلك ما عهد إليه من حراسة الإنسان ، فتساقطت الدموع كالمطر على الجسم الذى كان قد بدأ يجف ، وعندئذ علق الغبار بمواقع الدموع ، واستقرت بها الحشرات فشوهت الصنع الكامل الجميل

وجاء الروح الأعظم بعد ذلك بأيام قلائل تحف به الملائكة من كل جانب ليشهدوا مدى التقدم الذى أصابه الخلق الجديد ؛ فلما رأوا ما فعل الحزن به لازموا الصمت ، إلا ملكا واحدا هو ملاك العطف والحنان ، فإنه لم يكد يرى الفساد الذى أحدثه إهمال أخيه حتى أجهش بالبكاء ، وأسرع إلى الجسم يزيل ما علق به من غبار ، ويرفع ما استقر به من حشرات

وقضى على ذلك أياماً طوالاً يحدوه الحب وتدفعه الرحمة حتى أتم عمله ، وأصلح ما أفسده أخوه . فناداه الروح الأعظم وقال : ما أرفع مكانك ، وما أجل شأنك فى الخلق ! لن يستطيع إنسان قط أن يقدرك حق قدرك . لتكن مباركاً منى . إذهب لتأدية رسالتك ، فابك مع البائسين ، وافرح مع السعداء المغتبطين ، ومهد الطريق للمجهدين المتعبين ، وخفف العبء عن الذين أثقلت كواهلهم مشقات الحياة . أما أخوك ملاك الحزن فلا مكان له فى السماء ولا نفع منه فى الأرض ... أنظر ! ما شوه عملى العظيم إلا هو .

(الاسكندرية) ابراهيم عبد الحميد زكى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)